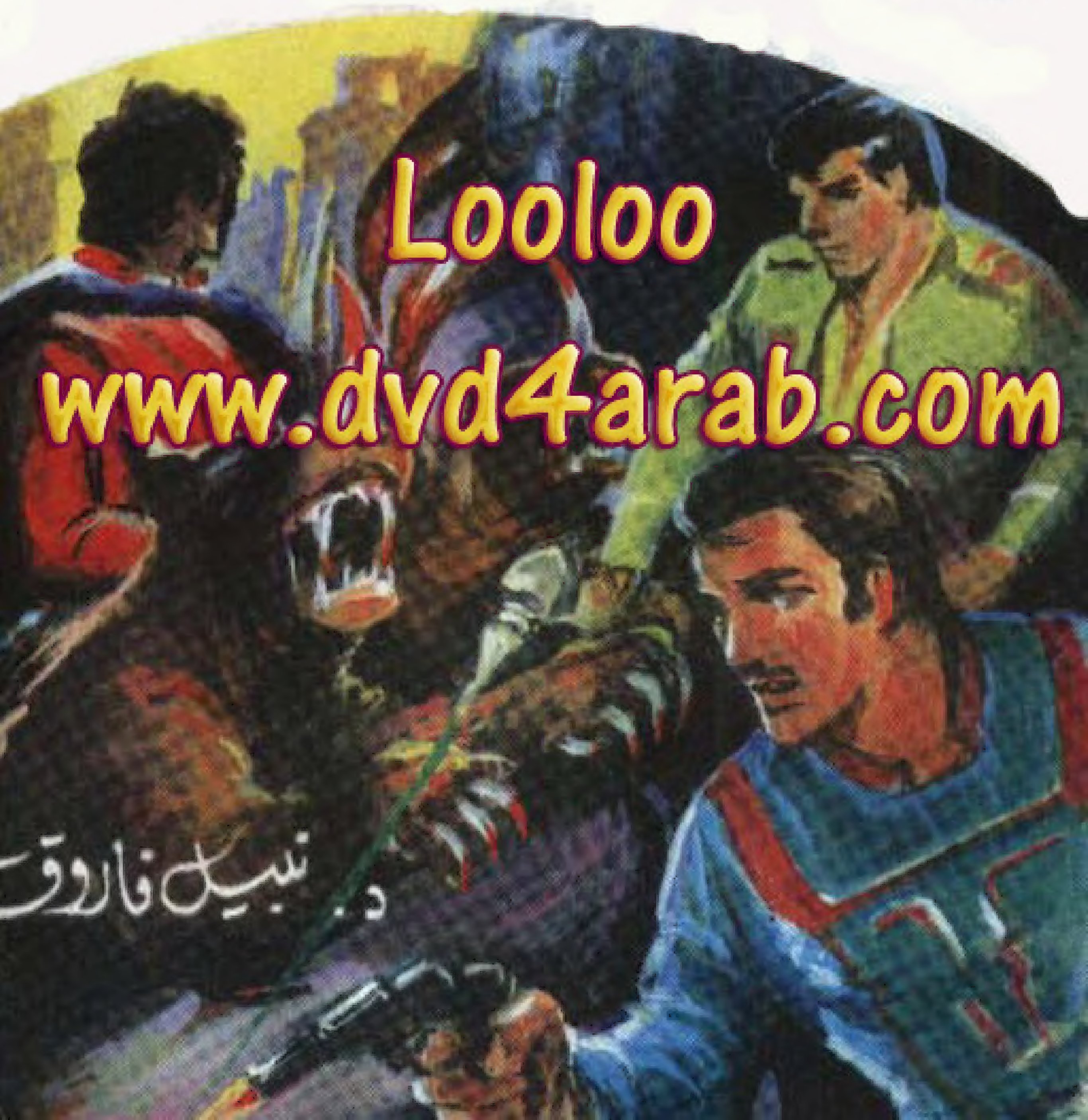
روايات
مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جدا !!

الأرض المفقودة

103



ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

د. نبيل فاروق

١ - الهارب ..

خيم الصمت والسكون على تلك المنطقة العجيبة ، التى انتشرت فيها عشرات الممرات المتشابكة المتقاطعة ، على نحو أشبه بشبكة عنكبوت ضخمة (*) ، ينيرها ضوء فيروزى هادئ ، ينبعث من مصادر غير محدودة فى الأسقف ، التى يصعب تمييز مادتها عن تلك الأرضية المصقولة ، المصنوعة من مادة واحدة غريبة ، ذات ملمس يجمع ما بين الليونة والصلابة ، فى مزيج مدهش ، لم تألفه ملامسنا قط ، والجدران المصمتة ، الخالية من أية فتحات أو معلّقات ، فيما عدا مصابيح صغيرة دقيقة ، لا ينبعث منها أى ضوء مرئى ، وتتوزّع على نحو منتظم ، بطول الممرات ، وعلى ارتفاع سنتيمترات قليلة من الأرضية المصقولة .

(*) العنكبوت : من فصيلة العنكبوتيات ، وهى طائفة من المفصليات ، تمتاز بوجود ثمانية أرجل ، ومعظمها برى ، يتنفّس الهواء ، ويتركّب جسم العنكبوت من منطقتين ، رأس صدرية ، وبطن ، ويفصلهما خصر نحيل ، ومن أسفل مؤخرة البطن تبرز المغازل ، وهى مراكز تكوين نسيج العنكبوت وأكياس البيض ، وتتغذى العناكب على الحشرات .

ثم شقّ ذلك السكون وقع أقدام مسرعة ، لشخص يعدو مقتربًا ، لم يلبث أن برز من أحد الأركان ، وراح يجرى بكل قوته ، ووجهه يحمل ذعرًا لا حدود له ، وهلعًا يوحى بأن شياطين الجحيم كلها تطارده ، وتعثّر فى قدميه ، من شدة الرعب ، فسقط ، وتدحرج على الأرضية المصقولة لحظات ، قبل أن يهبّ واقفًا ، ويعاود الجرى حتى منطقة التقاء عدة ممرات ، فتوقّف يلهث فى شدة ، من فرط التوتر والتعب والانفعال ، وهو يتلفّت حوله مذعورًا ، وهتف لنفسه :

ــ أين ؟!.. أى طريق ينبغى أن أتخذ .. ساعدنى يا إلهى ! .. ساعدنى ..

أدار عينيه فيما حوله فى سرعة ، ثم انتخب أحد الممرات ، وواصل طريقه عبره فى خطوات واسعة مذعورة ..

ومن نفس الركن ، الذى برز منه الرجل ، ظهر ثلاثة من الرجال الأشدّاء ، يتقدّمهم رجل نحيل طويل ، صارم الملامح ، حاد القسمات ، وكلهم يحملون أسلحة عجيبة الشكل ، عبارة عن خزان زجاجى مستدير ، يتألّق ببريق أرجوانى ، ويمتد منه أنبوب شفاف ، وفى بدايته شىء أشبه بالزناد ..

وفى صرامة ، وبلغة غير مستخدمة فى أى جزء من العالم ، أشار ذلك النحيل للرجال الثلاثة بالتوقّف ، وقد بدا رهيبًا ، فى حلته الحمراء ، المكوّنة من قطعة واحدة ، والتى تشبه ما يرتديه الرجال الثلاثة ، الذين بدوا أشبه بالشياطين ، ورفع النحيل ساعة معصمه إلى عينيه ، وراقب النقطة الحمراء ، التى تتحرّك فوقها ، ثم أشار إلى الرجال ، وانطلق يقودهم عبر الممر نفسه ، الذى اتخذه الهارب ..

أما ذلك الأخير ، فقد واصل العدو ، عبر تلك الممرات الطويلة ، ولهاثه يتزايد ويشتدّ فى عنف ، وقلبه يخفق كمضخّة هائلة ، وارتجفت الكلمات على شفتيه ، وهو يقول فى انهيار :

ــ لا يوجد شىء .. كلها ممرات متشابهة .. لقد أسأت الاختيار .. كنت أظننى أذكر تفاصيل تلك الخريطة ، التى رأيتها فى حجرة (ليدر) .. يا للخسارة ! .. لقد قضيت على نفسى .

كاد يسقط منهارًا ، من شدة الفزع والتعب ، لولا أن لاحت منه التفاتة إلى نهاية أحد الممرات الجانبية ، فاستعاد الكثير من نشاطه فجأة ، وعادت الدماء تتدفّق فى عروقه ، وهو يهتف :

— حمدًا لله .. حمدًا لله .. لقد عثرت عليه .

كان هناك قوس متألق ، فى نهاية ذلك الممر ، الذى انطلق يعدو فيه بكل ما تبقى فى جسده من قوة ، ومن خلفه تعالى وقع أقدام الرجال الأربعة ، فانتفض جسده فى هلع شديد ، وهو يهتف :

— لا .. ليس الآن .. ليس بعد أن عثرت عليه ..

جرّ قدميه جرًا فى ارتياع ، حتى بلغ لوحة أزرار ، على مسافة متر واحد من ذلك القوس ، وراح يضغط أزرارها فى سرعة وتوتر ، وهو يلهث هاتفًا :

— ساعدنى يا إلهى ! .. ساعدنى .. إننى أذكر الأرقام .. ساعدنى .

وعلى مسافة مائتى متر منه ، توقف النحيل ورجاله الثلاثة ، عندما تألقت ساعة يده فى شدة ، فرفعها إلى عينيه ، وقال فى غضب ، بلهجته التى لا مثيل لها فى الأرض :

— لقد بلغ قوس الطاقة .. ليس لدينا ما يكفى من الوقت للوصول إليه ، قبل أن يعبره .

أجابه أحد الرجال الثلاثة :

— يمكننا أن نعبره خلفه .. لن يمكنه الفرار منا هناك .

قال النحيل فى صرامة :

— إنه ليس غبيًا .. لا شك لدى فى أنه سيغلق القوس من خلفه ، وسنحتاج إلى أسبوع على الأقل ، حتى يمكننا فتحه ثانية .

بدا التوتر على وجوه الرجال الثلاثة ، ولكن النحيل ضغط أحد أزرار ساعته ، وهو يقول :

— لدينا أمل واحد أخير .

وانعقد حاجباه فى صرامة شديدة ، وهو يستطرد :

— (الميناروس) .

فى نفس اللحظة ، كان الهارب يضغط الأزرار الأخيرة ، ثم يتراجع قائلًا فى انفعال :

— حمدًا لله .. حمدًا لله .. لقد فعلتها .

كان القوس يتألق فى تلك اللحظة ، بلون أحمر زاهٍ ، وراح الهارب يراقبه فى توتر وانفعال شديدين ، وهو يتغير فى بطء إلى اللون البرتقالى ..

كان يعلم أنه لن يمكنه عبوره قط ، إلا عندما يتحول إلى اللون الأصفر الباهت ..

وعندئذ ينفتح القوس ..

عندئذ فقط ..

وسيعبره من الهزيمة إلى النصر ..

من الموت إلى الحياة ..
من الـ ...
قاطعته فجأة زمجرة مخيفة من خلفه ، فاستدار إلى مصدرها فى ارتياع ، وشهق فى ذعر ، عندما وقع بصره على (الميناروس) ..
كان حيوانًا على هيئة كلب ضخم ، له قرن وحيد حاد ، ينبت من منتصف جبهته ، ويرتفع لثلاثين سنتيمترًا ، فى حين تبرز أنيابه الحادة الطويلة من بين فكيه ، كما لو كانت رءوس حراب مخيفة ..
وفى وحشية رهيبة ، انثنى (الميناروس) .. مستعدًا للوثب على فريسته ، فتراجع الهارب فى ذعر شديد ، وهو يقول :
ـ لا .. لا .. أرجوك .
ثم دار على عقبيه ، وانطلق يعدو بكل قوته نحو القوس ، الذى تبدّل فى هدوء ، من اللون البرتقالى إلى الأصفر الباهت ، فى حين أطلق (الميناروس) زمجرة أكثر وحشية ، وهو ينفرد بغتة ، ويقفز نحوه ..
ووثب الهارب ..
وثب بكل قوته عبر القوس ، الذى تألّق بشدة ،

وصدرت منه فرقعه أشبه بفرقعة الكهرباء ، فى نفس اللحظة التى بلغه فيها (الميناروس) ، وعبره نصف جسمه الأمامى ، و ...
واستعاد القوس لونه الأحمر بغتة ..
استعاده ، قبل أن يعبره (الميناروس) كاملاً ..
وانطلقت من الوحش العجيب زمجرة ألم رهيبة ، عند الجانب الآخر من القوس ، وسقط نصف جسده مبتورًا وسط الممرات ، وتدفّقت الدماء منه فى غزارة رهيبة ، فى حين أطلق القوس فرقعة أخرى عنيفة ، وتألّق بشدة ، وتوهّج المكان كله بوهج كاللهب ، قبل أن يخبو القوس ، ويتلاشى بريقه ، ويتألّق بدلاً منه مصباح صغير فى لوحة الأزرار ..
حدث كل هذا فى الثانية نفسها ، التى وصل فيها النحيل ورجاله الأربعة إلى القوس ، فهتف فى سخط ، وهو ينظر إلى نصف جثة (الميناروس) .
ـ اللعنة ! .. لقد أفلت منا .
ارتسم مزيج من السخط وخيبة الأمل ، على وجوه الرجال الثلاثة ، ثم هتف أحدهم فى انفعال :
ـ هذا لا يعنى أنه سينجو .
التفت إليه النحيل ، وهو يقول فى حدة :

ـ بالطبع .. فراره من هنا لا يعني نجاته ، ولكن الإمبراطور لن يغفر لنا فشلنا في منعه قط .

وعاد يتطلع إلى القوس ، مستطردًا في صرامة :

ـ ثم إننا لن نعلم ما أصابه ، قبل أسبوع كامل ، عندما نستعيد سيطرتنا على طاقة القوس ..

والتقط نفسا عميقا ، قبل أن يستطرد :

ـ وعلى أرضنا .

قالها ، وعيناه تتألقان ببريق مخيف ..

بريق يفوق بريق القوس ..

بل بريق ألف قوس ..

* * *

تهللت أسارير (سلوى) ، وهى تستقبل رسالة إليكترونية مطبوعة ، عبر هاتف الفيديو الكونى الخاص ، وهتفت في سعادة :

ـ رسالة من (المريخ) يا (نور) (*) رسالة من (نشوى) و (رمزى) .. إنها أول رسالة طويلة منهما ، منذ سافرا إلى هناك (**) .

(*) المريخ : رابع كواكب المجموعة الشمسية بعدًا عن الشمس ، يبعد عنها حوالى ٢٢٥ مليون كيلومتر في المتوسط ، وكتلته ١و٠ من كتلة الأرض ، وكثافته ٧٢ و ٠ من كثافتها .. قطره ٦٧٤٥ كيلومتر ، ويقطع مساره في ٨٨و١ سنة ، لونه برتقالى أو أحمر ، ويحتوى جوه على ثاني أكسيد الكربون ، ولا يوجد به أكسجين ، أو بخار ماء ، وله تابعان فقط (ديموس) و (فوبوس) .

(**) راجع قصة (الحرباء) .. المغامرة رقم (١٠١)

كان (نور) أشدَّ لهفة منها على مطالعة الخطاب ، ولكنه أخفى مشاعره هذه في أعماقه ، وهو يبتسم في هدوء ، قائلاً :

ـ كيف حالهما ؟ .. ما أخبارهما هناك ؟

طالعت الخطاب في لهفة ، وهي تقول :

ـ بخير حال .. (رمزى) حقق نجاحًا رائعًا ، في التدريبات النفسية لروّاد المستعمرات الفضائية على (المريخ) ، و (نشوى) أصبحت رئيسة قسم الكمبيوتر ، في المركز الإدارى الرئيسى .

أطلقت (مشيرة محفوظ) ضحكة مرحة ، وهى تقول :

ـ أهذا ما تطلقين عليه اسم الأخبار ، .. وماذا عن عروسنا الجميلة .. ألا توجد احتمالات لأن تصبحى جدة قريبًا :

ضحكت (سلوى) ، وهى تقول :

ـ جدة ؟! .. قولك هذا يجعلنى أشعر كما لو كنت في الخمسين من عمرى .

ابتسم (أكرم) ، واسترخى في مقعده ، وهو يتثاءب قائلاً :

ـ لو أن الأمور سارت على النحو الطبيعى ، ولم تتعرّض (نشوى) لذلك النمو الفورى المباغت ، على

يد أولئك الوحوش فى الأعماق (*) ، لكنت كذلك بالفعل ، ولكن من يصدَق أنك تكبرين ابنتك رسميًا بعامين فحسب ؟

ضحكت (سلوى) مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ ليتك تخبر الجيران بهذا .

تثاءب مرة أخرى ، وهو يبتسم فى خمول ، قائلاً :

ـ وهل سيصدقوننى ؟

قالت (مشيرة) فى مرح :

ـ من يدرى ؟ .. أنا شخصيًا أصبحت أصدَق كل شىء ، بعد أن أخبرنى بعضهم أن زوجى الكسول هذا ، هو أحد رجال المخابرات العلمية ، الذى يتصدُون للخطر دومًا .

ابتسم (نور) هذه المرة ، وهو يعتدل قائلاً :

ـ تصحيح .. زوجك ليس مجرَد أحد رجال المخابرات العلمية .. إنه فى الواقع أحد أبطال المخابرات العلمية .

هتفت (مشيرة) فى دهشة :

ـ أبطال ماذا ؟

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

أما (أكرم) ، فقد اعتدل بحركة حادة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !! .. أأنت الذى يقول هذا يا (نور) ؟!

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يبتسم قائلاً :

ـ ولِمَ لا ؟!. أنت بطل حقيقى يا (أكرم) ، وهذا ليس رأيًا شخصيًا ، إنه التقييم الذى تضمَّنه ملفك لدينا ، بعد إنجازاتك الرائعة فى المهمتين السابقتين ، وأضف إلى هذا نضالك الرائع ، فى مرحلة ما بعد الاحتلال (*) .

تطلَّع إليه (أكرم) لحظات فى صمت ، ثم لم يلبث أن هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ عجبًا !.. كنت أتصوَّر أننا نختلف تمامًا يا (نور) .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ إننا كذلك بالفعل يا (أكرم) .. أنا وأنت نختلف عن بعضنا تمام الاختلاف ، ولست أوافق أبدًا على أسلوبك فى معالجة الأمور ، ولا على استهانتك بالحياة البشرية ، ولكن هذا لا يمنع نجاحك فيما أسندته إليك الإدارة من مهمات .

تدَخلت (سلوى) ، قائلة فى حماس :

ـ الواقع أنكما تكوِّنان فريقًا ناجحًا ، على الرغم من تعارض أسلوبكما .

(*) راجع قصة (رمز القوة) .. المغامرة رقم (٨١) .

أشارت (مشيرة) بسبابتها ، قائلة :

ـ أوافقك على هذا التعارض ، فزوجك نشيط ، وزوجي خمول .

ابتسم (أكرم) فى تراخ ، وهو يقول فى كسل ، ويغوص فى مقعده :

ـ أعتقد أنه من حقى أن أنعم بشىء من الكسل والخمول ، بعد كل ما لقيته من مصاعب ، فى مهمتنا السابقة .. لقد شفيت من إصاباتى منذ أيام قليلة فحسب .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى خبا ضوء الحجرة ، ثم عاد يتألّق فى سرعة ، فاعتدل (نور) فى حركة حادة ، وتبادل نظرة سريعة مع (أكرم) ، الذى نفض عنه الخمول بغتة ، وامتلأ بنشاط لا حدود له ، وهو يقول :

ـ إنها الإشارة .

ولم تمض ثوان معدودة على قوله هذا ، حتى كان مع (نور) ، فى سيارة هذا الأخير ، ينطلقان نحو إدراة المخابرات العلمية المصرية ..

ونحو هدف جديد ..

ومهمة جديدة ..

* * *

استقبل القائد الأعلى للمخابرات العلمية (نور) فى اهتمام ، وهو يقول :

ـ مرحبًا يا (نور) .. كنت أتوقّع وصولك بهذه السرعة كالمعتاد .

أجابه (نور) فى احترام :

ـ أنا أعرف قواعد العمل جيدًا يا سيّدى .

أما الدكتور (ناظم) ، فقد صافحه فى حرارة ، قائلا :

ـ كيف حالك يا (نور) ، وكيف حال زميلك الجديد (أكرم) !

ابتسم (نور) ابتسامة هادئة ، وهو يجيب :

ـ إنه يتميّز غضبًا وغيظًا ، فى الطابق العلوى ، لأنه من غير المسموح به أن يهبط لمقابلة القائد الأعلى بنفسه .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه ، وهو يقول :

ـ إنه عنيد وبدائى للغاية ، ولكنه شجاع ومخلص فى الوقت نفسه ، وسرعان ما يستسلم للأمر ، ويعتاد طاعة الأوامر .

تنهّد (نور) مغمغمًا :

ـ أشكّ فى هذا يا سيّدى .

أشار إليه القائد الأعلى بيده ، وهو يقول :

ـ لدينا مهمة جديدة لكما يا (نور) :

ـ اعتدل (نور) ، وهو يجيب فى حماس :

ــ كلنا رهن إشارتك يا سيِّدى .

أشار له القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يقول فى اهتمام واضح :

ــ أنت تعلم أننا نقوم بدوريات طيران منتظمة ، فوق الصحراء الغربية ، لتفقد المنطقة باستمرار ، وتفادى أية محاولات تهريب أو تسلّل عبرها ، ومنذ أسبوع ، كانت إحدى طائرات الدورية تقوم بعملها ، فوق المنطقة المعروفة باسم (بحر الرمال الأعظم) ، بالقرب من الحدود الليبية ، وترسل تقاريرها اللاسلكية على نحو منتظم ، عندما التقط منها مركز المتابعة هذه الرسالة بغتة .

قالها ، وهو يضغط زر جهاز الاستماع ، الذى انبعث منه صوت قائد طائرة الدورية ، وهو يقول :

ــ كل شىء يسير على ما يرام .. المنطقة كلها تبدو خالية ، حتى آفاق البصر ، و ..

انطلق صفير مباغت ، مع اضطراب وشوشرة لاسلكية ، قبل أن يهتف قائد الطائرة بغتة ، فى مزيج من الدهشة والارتياع :

ــ رباه ! .. ما هذا بالضبط ؟.. إنه انفجار هائل .. انفجار أشبه بشمس صغيرة ، تتكوّن بغتة ، و ...

يا إلهى ! .. الطاقة الرهيبة تفسد كل الآلات ، و ...

انقطعت الرسالة بغتة ، وارتفعت من الجهاز قرقعة مخيفة ، أعقبها أزيز مزعج متصل ، فسأل (نور) :

ــ أكان هذا آخر ما أرسله ؟

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ ليس هذا فحسب يا (نور) .. لقد اختفت الطائرة تمامًا ، بعد أن أرسلت هذه الرسالة المبتورة ، فلم يكن منا إلا أن نرسل طائرة أخرى للبحث عنها .

قال (نور) بسرعة :

ــ ولكنها لم تعثر لها على أثر .

قال الدكتور (ناظم) فى صرامة :

ــ لا تتسرّع بالاستنتاج يا (نور) .

أما القائد الأعلى ، فقال فى شىء من التوتر :

ــ بل عثرت عليها .. أو بمعنى أدق على حطامها ، الذى تناثر فى دائرة نصف قطرها خمسة كيلو مترات ، ولم يزد حجم أكبر قطعة منه على حجم غطاء رأس صغير .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهو يقول :

ــ إلى هذا الحد ؟! .. ما الذى نسفها بهذا الشكل العنيف ؟



فتكونَت فوقها صورة هولوجرافية مجسَّمة لنصف جسد (الميناروس) ..

تجاهل القائد الأعلى سؤاله لهدف ما ، وهو يتابع :

ـ وعندما بدأت عملية البحث ، كانت أمام الرجال مفاجأة جديدة ، فلم يكن هناك أدنى أثر لأى انفجار ، بل كانت رمال الصحراء ممتدة متناسقة ، وكأنما لم تمسسها حتى الرياح ، أما المفاجأة الأشد عنفًا ، فهى أنهم عثروا على شخص فاقد الوعى ، و ...

صمت لحظة ، ثم ضغط زر جهاز العرض الهولوجرافى ، قبل أن يضيف :

ـ وذلك الشىء .

هبطت من سقف الحجرة حزمة من الليزر ، فوق اسطوانة مفلطحة كبيرة ، فتكونَت فوقها صورة هولوجرافيه مجسَّمة لنصف جسد (الميناروس) ، وحدَّق فيها (نور) فى دهشة عظيمة ، قبل أن يقول :

ـ وما هذا بالضبط ؟

أجابه الدكتور (ناظم) هذه المرة :

ـ إنه جزء من حيوان عجيب يا (نور) ، لا وجود له مطلقًا على سطح الأرض ، ولا فى أى مرجع من مراجع الحيوانات القديمة أو المنقرضة .. إنه مزيج من الذئب ن والكلب ، ووحيد القرن ، والأسد الجبلى ، ولكن له فراء أشبه بفراء الدب .. ومن الغريب

أن كل ما عثرنا عليه هو النصف العلوى من ذلك الحيوان ، وقد تم بتره على نحو حاد ، كما لو أن هذا قد حدث بأكثر مقصلة فى العالم حدة (*) ، ولم يمكننا العثور على نصفه السفلى قط .

صمت (نور) لحظات ، وهو يتطلع إلى نصف (الميناروس) ، ثم سأل وقد بلغ منه الاهتمام مبلغه ، وتصاعد توتره إلى حد كبير :

ـ وماذا عن ذلك الفاقد الوعى ؟

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ هذا فى رأينا ، أكثر أجزاء اللغز تعقيدًا يا (نور) ، فالرجل الذى عثر عليه رجالنا ، فى منطقة (بحر الرمال الأعظم) ، بالقرب من الحدود الليبية ، هو عالم الأثريات الشهير الدكتور (حسن صابر) .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :

(*) المقصلة : وسيلة إعدام قديمة ، عبارة عن حامل ضخم ، فى أعلاه شفرة مائلة حادة للغاية ، تسقط فور إزالة عائقها ، لتجتز الرءوس والأعناق ، ولقد استخدمت المقصلة كثيرًا ، أيام الثورة الفرنسية ، فى القرن الثامن عشر .

ـ عجبًا ! .. معلوماتى تقول : إن الرجل اختفى منذ عامين تقريبًا ، دون أن يترك أدنى أثر خلفه .

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ هذا صحيح يا (نور) .. لقد اختفى الدكتور (حسن صابر) منذ عامين تقريبًا ، وفى البقعة نفسها ، التى تم العثور عليه فيها ، وهذا يعنى أننا أمام لغز يا (نور) .. لغز كبير .

وكان هذا القول إيذانًا ببدء المهمة الجديدة .. واللغز الجديد ..

* * *



٢ ـ اللغز ..

ارتفع حاجبا (أكرم) فى دهشة بالغة ، ثم عادا يلتقيان فى توتر حائر ، وهو يقول :

ـ أأنت واثق من أن القصة التى رويتها لى ، ليست محض خيال يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم ، وهما يسيران جنبًا إلى جنب ، عبر ممرات المستشفى العسكرى ، عند أطراف (القاهرة الجديدة) :

ـ عملنا لا يمكنه التعامل مع الخيالات أو الأحلام يا (أكرم) ، بل مع الحقائق المحضة ، حتى وإن بدت أغرب من الخيال .

هرش (أكرم) رأسه فى حيرة ، وهو يقول :

ـ إنه أمر أغرب من الخيال بالفعل يا (نور) ، فطبقًا لما ذكرته ، اختفى الرجل فى تلك البقعة ، منذ ما يقرب من العامين ، ولم يتم العثور عليه قط ، على الرغم من المحاولات المختلفة ، التى جرت للبحث عنه واستخدم فيها فريق من أمهر مرشدى الصحراء ،

وفريق آخر من الحوّامات ، إلى جانب صور الأقمار الصناعية . باختصار .. اختفى الرجل أيامها تمامًا ، ولكن فجأة ، عاد للظهور فى البقعة نفسها ، واقترن ظهوره بظاهرة عجيبة ، انسحقت معها طائرة دورية قوية ، وتناثر حطامها على مسافة خمسة كيلو مترات ، وجاء معه حيوان عجيب ، لا وجود له فى دنيانا ، ولم يتم العثور على نصفه السفلى ، الذى بترته مقصلة عملاقة .. ألا يبدو لك هذا كله عجيبًا للغاية ، وخاصة أن المكان ، الذى اختفى وظهر فيه الدكتور (حسن صابر) ، يبعد بألف كيلومتر تقريبًا ، عن أقرب منطقة مأهولة ، ولم يعثر الرجال على أية آثار ، تفيد استخدام لوسيلة انتقال ما .

أجابه (نور) فى اهتمام :

ـ لقد لخصت الموقف كله على نحو رائع يا (أكرم) .

لوّح (أكرم) بذراعه ، قائلاً :

ـ ولكننى لم أجد له تفسيرًا يا (نور) .

مطّ (نور) شفتيه ، وهو يقول :

ـ هذا الأمر سابق لأوانه .. ربما نتوصل إلى شىء ما ، بعد أن نلتقى بالدكتور (حسن) .

سأله (أكرم) ، عندما وصلا إلى حجرة العناية الخاصة ، التى يقف على بابها اثنان من رجال الأمن الأقوياء :

ـ هل استعاد وعيه ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ إلى حد ما .. فريق الأطباء ، الذى يتابع حالته ، قال : إنه سيستعيد وعيه جزئيًا ، وسيمكنه الإجابة عن بعض أسئلتنا ، ولكن حالة الضعف الشديدة التى تكتنفه ، تحتم علينا ألا نضغط عليه بالكثير من الأسئلة .

قال (أكرم) فى شىء من الحنق :

ـ يا لهؤلاء الأطباء وتعسفهم السخيف !

ابتسم (نور) ، وهو يبرز بطاقته الخاصة للحارسين ، ويدفع الباب ، قائلاً :

ـ إنهم يدركون ما يفعلونه .

هبّ الحارس الموجود داخل الحجرة لاستقبالهما ، فأشار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ اتركنا وحدنا .

أجابه الحارس فى احترام :

ـ كما تأمر يا سيدى .

وغادر الحجرة على الفور ، فى حين تطلّع (أكرم)

إلى الدكتور (حسن) ، الذى يرقد على فراشه متهالكًا ، بعينين نصف مفتوحتين ، يتطلع إليهما منهما بدوره ، وقد اتصلت بجسده عشرات الأسلاك والأنابيب الدقيقة ، التى تنقل عملياته الحيوية كلها إلى أجهزة حديثة ، متقلة بالشاشات والمؤشرات ..

وفى هدوء ، مال (نور) نحو الدكتور (حسن) ، وسأله :

ـ سيدى .. هل يمكننا أن نتحدث إليك قليلاً ؟

أومأ الرجل برأسه فى ضعف ، فسأله (نور) فى اهتمام :

ـ أين اختفيت ، طوال ما يقرب من عامين كاملين ؟

بدا من الواضح أن الرجل يبذل جهدًا خرافيًا ، ليفتح شفتيه ، قبل أن يهمس فى ضعف :

ـ الأرض ..

اكتفى بهذا الجواب المقتضب العجيب ، فمال (نور) نحوه أكثر ، وهو يسأل :

ـ أية أرض ؟

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، وتمتم :

ـ الأرض .. الأرض المفقودة .

بدت الدهشة على وجه (نور) ، وهو يردد :

— الأرض المفقودة ؟! .. ما المقصود بهذا بالضبط يا دكتور (حسن) ؟

لهث الدكتور (حسن) فى إرهاق ، ، وهو يتمتم :

— (لانتس) .. هناك .. البوابة .

كان من الواضح أنه يحاول الإشارة إلى شىء ما ، ولكن العبارات تعجز عن بلوغ لسانه ، فأمسك (نور) يده في رفق ، وقال :

— اهدأ يا دكتور (حسن) .. اهدأ .. لا تبذل جهدًا يفوق قدرتك على التحمل .

ولكن الرجل كان مصرًا على مواصلة حديثه ، وهو يقول فى ضعف شديد :

— الرقم .. اتبع الرقم .

قال (أكرم) فى حيرة :

— أى رقم ؟!.. يبدو أن الرجل يهذى يا (نور) .. إنه لا يستطيع تكوين جملة واحدة مفيدة .

ولكن سبابة الدكتور (حسن) ارتجفت بشدة ، وهو يرسم بها رقمًا ما فى الهواء ، ولسانه يرتعد بين شفتيه ، عاجزًا عن الكلام ، فتابع (نور) حركة السبابة بكل اهتمام ، وهو يقول :

— سبعة وعشرون .. نعم .. لقد عرفت الرقم

يا دكتور (حسن) ، ولكن ما الذى يشير إليه ؟!

كرر الرجل رسم الرقم نفسه بسبابته فى الهواء ، فقال (نور) :

— نعم .. نعم .. لقد فهمت .. إنه الرقم سبعة وعشرون .. ما الذى يعنيه بالضبط ؟ احتقن وجه الدكتور (حسن) ، وارتجفت سبابته فى شدة ، وهو يحاول رسم الرقم ذاته للمرة الثالثة ، وكأنه لم يسمع عبارة (نور) ، فهتف (أكرم) :

— يبدو أنه يفقد وعيه يا (نور) ..

لم يكد ينطقها ، حتى سقطت يد الدكتور (حسن) إلى جواره ، وتهاوى رأسه ، فى حين أطلق أحد الأجهزة المتصلة به أزيزًا متصلاً ، فوثب (نور) من مكانه ، صائحًا :

— استدع طبيبًا .. بسرعة ..

اندفع (أكرم) نحو باب الحجرة ، ولكنه لم يكد يبلغه ، حتى اندفع عبره الطبيب الملاحظ ، وخلفه الممرضة ، تحمل جهاز الصدمات الكهربية للقلب ، وهتف :

— غادرا الحجرة .. بسرعة .

أسرع (نور) و (أكرم) يغادران المكان ، وانبعث

من خلفهما صوت جهاز الصدمات الكهربية ، وهو يعمل على جسد الدكتور (حسن) ، الذى وثب مرتين إلى أعلى ، ورسّام القلب يواصل إطلاق رنينه المتصل ، ثم لم يلبث أن هدأ فجأة ، وعاد يرسل دقاته الرتيبة ، واعتدل الطبيب ، قائلاً :

ـ حمداً لله .

ثم أطلق زفرة حارة ، من أعمق أعماق قلبه ، وهو يغادر الحجرة ، ويقول لـ (نور) :

ـ كانت أزمة قلبية عنيفة .. لقد توقف قلبه بالفعل ، إلا أننا نجحنا فى إعادة دقاته إليه بمعجزة ، ولن يمكنكما إكمال استجوابه بالطبع ، قبل أن نستعيد سيطرتنا على قلبه الضعيف ، فمن الواضح أنه تعرّض لانفعال عنيف ، كان السبب فى إصابته بتلك الأزمة .

فغمغم (أكرم) فى شىء من الضيق :

ـ إنه لم ينطق إلا بكلمات محدودة .

أومأ الطبيب برأسه موافقاً ، قبل أن يقول :

ـ المهم هو الجهد الذى بذله لينطقها .

تنهّد (نور) وقال :

ـ فليكن .. أعتقد أن هذا يضطرنا للاعتماد على أنفسنا ، وتجاهل أقوال شاهد العيان الوحيد مؤقتاً .

أجابه الطبيب بإشارة من يده :

ـ يؤسفنى أن هذا أمر حتمى .

انصرف (نور) و (أكرم) فى صمت ، ولم تكد سيارة الأول تجمعهما ، حتى قال الثانى :

ـ هل يعنى هذا أننا لن نستطيع مواصلة التحقيق فى الأمر يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى حزم ، وهو ينطلق بالسيارة :

ـ بل كل ما يعنيه هو أننا سنلتقط طرف خيط آخر ؛ لنواصل عملنا يا رجل ..

سأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ وما طرف الخيط الذى تقترحه يا (نور) ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى حسم :

ـ (هناء) .. الدكتورة (هناء حمّاد) ..

ولم يفهم (أكرم) ما يقصده (نور) بهذا .. لم يفهم أبداً ..

* * *

« ألا تلتقيان بكائنات طبيعية أبداً ؟! .. » .

نطقت الخبيرة البيولوجية (هناء حمّاد) بالعبارة فى كثير من الدهشة ، وهى تحدّق فى ذلك النصف من (الميناروس) ، قبل أن تهزّ رأسها ، مستطردة :

– كنت أتصور أن قضية الحرباء ، هى آخر عمل نلتقى فيه (*) !

أجابها (نور) ، وهو يشير إلى ذلك الكائن :

– سنلتقى كثيرًا ، ما دام العالم يحوى مثل هذه الكائنات .

راحت تفحص نصف الكائن فى اهتمام بالغ ، وهى تقول :

– لم أر فى حياتى كلها شيئًا كهذا ، ولم يشر لوجوده أى مرجع حديث أو قديم .

قال (نور) :

– إننا نعلم هذا ، ولكن السؤال هو : هل يمكن إنتاج مثله ؟

التفتت إليه دهشة ، قائلة :

– أتقصد مثل الكائن الآخر ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، فسرت فى جسدها قشعريرة باردة ، وحدقت فى الكائن مرة أخرى ، ثم هزت رأسها ، مغمغمة :

– كلا .. لست أعتقد هذا .

(*) راجع قصة (الحرباء) .. المغامرة رقم (١٠١) .

سألها فى اهتمام :

– ولم لا ؟.. ما دام انتاج الكائن الأول كان ممكنا ، فما الذى يمنع إنتاج الكائن الآخر ؟

أشارت بيدها ، قائلة :

– إنها مسألة فنية بحتة ، فأنت تستطيع نقل الصفات ، من كائن إلى آخر ، فتنتج مثلا فأرا فى حجم خروف ، أو فيلا يأكل اللحوم ، أو جوادا قزما ، ويمكنك أن تدفع البكتيريا لإنتاج الأنسولين ، أو هرمونات النمو ، ولكن العلم لم ينجح بعد فى إنتاج كائن من عدة أجزاء ، كبقرة لها زلومة فيل مثلا .

قال (أكرم) :

– آه .. فهمت .. إذن فهذا الكائن قد نشأ على هذه الهيئة فى الطبيعة .

أسرعت تقول :

– أو تم صنعه بوسيلة جراحية ,

تفجرت جملتها كالقنبلة ، فى مسامع (نور) و (أكرم) ، وتبادلا نظرة سريعة ، قبل أن يسأل الأول :

– أهذا ممكن علميًا ؟

ترددت لحظة ، قبل أن تجيب :

— من الناحية النظرية فحسب .. إنها نفس نظرية إعادة الأطراف المبتورة ، ولقد تحقق هذا بنجاح ، منذ منتصف ثمانينات القرن العشرين ، مع تطوّر الجراحات الميكروسكوبية ، وجراحات الأوعية والأعصاب (*) وتطوّر على نحو مدهش ، مع ابتكار عقار (نيرفوريجان) ، الذى يعيد توصيل الأعصاب الحسية والحركية ، ويضمن عودتها للعمل بالكفاءة نفسها ، واليوم يمكن إعادة أى طرف مبتور ، واسترجاع وظيفته ، بنسبة نجاح ثمانية وتسعين فى المائة ، ومع هذا (التطوّر) ، وضع بعضهم نظريات طبية ، حول إمكانية زرع أجزاء من كائن ما ، فى كائن آخر ، وخاصة بعد التغلّب على مشكلة طرد الجسم للجزء المزروع ، بوساطة عقار (أنتى جرافيت) المتطوّر ، إلا أن أحدًا لم يضع هذه النظرية أبدًا موضع التنفيذ .

سألها (نور) :

— إذن فأنت تعتقدين أنه من الممكن إنتاج مثل هذا الكائن جراحيًا .

(*) حقيقة .

ترددت لحظة أخرى ، ثم أجابته :

— هذا يتوقّف على نتائج فحصه وتشريحه ، ولكن الشيء المؤكد هو أن القوم ، الذين يمكنهم فعل شيء كهذا ، لن يكونوا مجرد مجموعة بسيطة من البشر ، بل سيتحتم أن يكونوا على درجة من التطوّر .. التطوّر الكبير .

ران الصمت تمامًا على المكان ، بعد أن نطقت عبارتها ، وتبادل (نور) و (أكرم) نظرة صامتة ، قبل أن يسألها (نور) فى حزم :

— ومتى يمكنك حسم هذا الأمر ؟

أجابته بسرعة ، وكأنها كانت تنتظر هذا السؤال بالتحديد :

— أحتاج إلى يوم كامل على الأقل ، لفحص تركيبه الجينى ، والأجزاء الموجودة من جسده .

أومأ برأسه موافقًا ، قبل أن يقول :

— فليكن .. يمكنك البدء فورًا على بركة الله ، أما نحن ، (أكرم) وأنا ، فسنبدأ بحثنا فى اتجاه جديد .

ثم شرد ببصره ، مستطردًا فى حسم :

— سندرس تاريخ الدكتور (حسن صابر) .. تاريخه كله .

قالها ، دون أن يدرى أن تاريخ الدكتور (حسن) قد بلغ فى تلك اللحظة محطته ..

محطته الأخيرة ..

* * *

تأهب رجلا الأمن فى تحفز ، وهما يقفان أمام حجرة الدكتور (حسن) ، عندما تناهى إلى مسامعهما وقع أقدام تقترب من المكان ، واستدارا فى آن واحد ، يحدقان فى ذلك الشخص الطويل النحيل ، الذى يتحرك نحوهما ، داخل معطف أطباء أبيض ، وقفز إلى ذهنهما فى آن واحد ، أن ملامحه القاسية وصرامته الواضحة ، لا يصلحان أبدا لهذه المهنة ، ولكن أحدهما لم يفصح عن رأيه هذا قط ، واكتفيا بمراقبة ذلك الطبيب ، وهو يقترب منهما فى خطوات بطيئة ، ويد كل منهما على سلاحه ، حتى أصبح على بعد نصف متر منهما ، فتنحنح أحدهما ، وسأله :

- سيدى .. هل تحمل تصريحا بالاقتراب من هذا المكان ؟

أدار ذلك الطبيب النحيل عينيه إليهما فى حركة حادة ، وعلى الرغم من أنهما مدربان على مواجهة أعتى المخاطر ، إلا أن قشعريرة عجيبة سرت فى

جسديهما ، مع مرأى عينيه الفائرتين المخيفتين ، ووجد أحدهما نفسه يقول فى توتر مباغت :

- من أنت ؟

لم يكد ينطقها ، حتى تحرك ذلك النحيل بغتة ، فى نشاط هائل مخيف ، وأخرج من جيب معطفه كرة شفافة ، تتألق داخلها شرارات أرجوانية عجيبة ، ورفعها فى وجهيهما ، فصاح أولهما ، وهو يتراجع مستلا مسدسه :

- احترس .. إنه ..

ولم يجد وقتا لإكمال عبارته ..

لقد انطلقت من تلك الكرة صاعقة رهيبة ، أطاحت بالحارسين فى جزء من الثانية ، وحولتهما إلى أشلاء متناثرة ، ونسفت باب الحجرة فى دوى هائل ، بدا أشبه بقنبلة شديدة الانفجار ، فى قلب المستشفى الكبير ..

وفى هدوء عجيب ، عبر ذلك النحيل الباب المسحوق ، فى نفس اللحظة التى نهض فيها حارس الحجرة الداخلى ، من بين الحطام ، والدماء تنزف من رأسه وصدره ، وحاول التقاط مدفعه الليزرى ، وهو يقول :

ـ لن يمكنك أن ...

قبل أن يكمل عبارته ، انطلقت الصاعقة الأرجوانية فى صدره ، وانتزعته من مكانه ، وهو يطلق أبشع صرخة ألم وعذاب فى الكون كله ، ثم اقتحم جسده النافذة ، وطار لثلاثة أمتار فى الهواء ، قبل أن يهوى من ارتفاع خمسة طوابق ، ويكتمل تحطمه فى ساحة انتظار السيارات بالمستشفى ..

أما الدكتور (حسن) ، فقد اتسعت عيناه فى هلع تام ، وصاح فى انهيار :

ـ لا يا (ليدر) .. لا .

ولكن النحيل ضغط طرفى الكرة ..

وانطلقت الصاعقة ..

ودوى الانفجار الثالث ..

والأخير ..

* * *

ضغط (نور) أزرار الكمبيوتر ، فى المركز الرئيسى للمعلومات ، وهو يقول فى اهتمام واضح :

ـ من العجيب أن المعلومات الموجودة هنا ، حول الدكتور (حسن صابر) محدودة للغاية ، فكل ما أجده هو تاريخ ومحل مولده، وشهاداته العلمية ، وتاريخ

حصوله عليها ، وعنوان مسكنه ، وبعض البيانات التقليدية البسيطة ، وهذا يدهشنى بحق ، فالمفروض أن للرجل ثقلاً علميًا ، ومثله لا يقتصر ملفه على هذه المعلومات .

سأله (أكرم) :

ـ هل تعتقد أن أحدهم أخفى المعلومات الأخرى عمدًا ؟

التفت إليه (نور) فى بطء ، وقال فى صوت تغلب عليه الدهشة :

ـ لماذا قلت هذا ؟

هزّ (أكرم) كتفيه ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .. لقد بدا لى منطقيًا للغاية .

أدار (نور) رأسه ، ليتطلّع مرة أخرى إلى المعلومات ، التى تحملها شاشة الكمبيوتر ، قبل أن يغمغم :

ـ إنه كذلك بالفعل .

ثم عاد يضغط أزرار الكمبيوتر فى حماس ، قائلاً :

ـ السؤال الآن هو : من فعل هذا .. من يستفيد من محو التاريخ العلمى للدكتور (حسن صابر) ؟

أجابه (أكرم) :

- شخص يمكنه أن يحتل مكانه ومنصبه ، أو يحصل على نتائج أبحاثه .

أشار إليه (نور) ، هاتفا :

- بالضبط .. وهذا ينقلنا إلى السؤال التالى .. من احتلّ منصب الدكتور (حسن) بعد اختفائه ؟

قالها ، وأصابعه تنقل السؤال إلى شاشة الكمبيوتر ، الذى استجاب فى سرعة ، وراح يرسم على شاشته صورة واضحة لرجل وسيم أشيب الشعر ، مع بياناته الكاملة ، فهتف (أكرم) :

- أرأيت .. إنه الدكتور (مراد حنا) ، الذى أصبح عميدًا لكلية الآثار ، بعد اختفاء الدكتور (حسن) .

أجابه (نور) ، والحماس يملأ صوته :

- ليس هذا فحسب .. لقد كان زميله فى آخر أبحاثه .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

- أى بحث هذا ؟

اعتدل (نور) ، وانعقد حاجباه ، وهو يقول :

- هنا تكمن المشكلة .. لقد محا أحدهم عنوان البحث وتفاصيله ، من الذاكرة الأساسية .

ضرب (أكرم) قبضته اليمنى فى راحته اليسرى ، وهو يقول :

- آه .. هذا يعنى الكثير .. أراهنك على أن لعنوان البحث صلة أساسية بقضيتنا .. ياللسخافة ! .. كيف يمكننا معرفة ذلك البحث ؟

أشار إليه (نور) ، قائلا :

- بالأسلوب التقليدى .

التفت إليه (أكرم) ، متسائلا فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟

أجابه (نور) فى اهتمام :

- أعنى أن الشخص الذى محا عنوان البحث وتفاصيله ، من الذاكرة الرئيسية ، اهتم بمنع أى مخلوق من معرفة طبيعة آخر أبحاث الدكتور (حسن) ، ولكنه نسى أن القواعد تقتضى ضرورة تقديم خمس نسخ مطبوعة من البحث إلى مكتبة الكلية ، وهذا يعنى أنه من المحتمل أن نجد نسخة منه هناك .

قال (أكرم) فى حماس :

- فكرة رائعة يا (نور) .. هيا نذهب إلى هناك على الفور .

انطلقا مباشرة إلى مكتبة الجامعة ، ولم يكد (نور) يوقف سيارته أمامها ، حتى انطلق أزيز هاتف السيارة على نحو خاص ، فضغط زره ، قائلا :

— هنا (نور) .. من المتحدّث ؟

أتاه صوت الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :

— (نور) .. حدث تطوّر خطير فى القضية .. لقد نسف بعضهم الدكتور (حسن) .. قتلوه ببشاعة يا (نور) .. اذهب إلى المستشفى فورًا ، وسألحق بك هناك .

هتف (نور) :

— قتلوا الدكتور (حسن) ؟!.. يا إلهى ! .. واضح أن أحدهم يتحرّك فى سرعة ، لمنعنا من كشف غموض هذا اللغز ..

قال (أكرم) فى حدة :

— ومن سيسمح له ؟! .. انطلق يا (نور) ، وسنعرف ما حدث هناك .

أجابه (نور) فى حزم :

— كلاّ يا صديقى .. خصمنا يعمل بسرعة ، ولا ينبغى أن نضيع لحظة واحدة بدورنا .. سأنطلق وحدى إلى المستشفى ، واذهب أنت إلى ذلك البحث .. إننا نحتاج إلى معرفة موضوعه بشدة .

قفز (أكرم) من السيارة ، وهو يقول :

— فليكن .. انطلق على بركة الله .

انطلق (نور) بالسيّارة ، فى حين اتجه (أكرم) ، فى خطوات سريعة إلى مكتبة الجامعة ، وضغط أزرار كمبيوتر الدليل فى سرعة ، وتطلّع إلى بيانات الشاشة ، مغمغمًا فى انفعال :

— بالعبقرية (نور) هذا !! .. توجد بالفعل أربعة أبحاث تحمل اسم الدكتور (حسن صابر) .

واتجه فى خطوات واسعة إلى حيث توجد نسخ أبحاث الدكتور (حسن) ، ولمح الركن الخاص بها من بعيد ، فتنهّد فى ارتياح ، مغمغمًا :

— ها هى ذى .

لم يكد ينطقها ، حتى برز من خلف الأرفف المكدسة بالكتب رجل مفتول العضلات ، رمقه بنظرة شرسة ، ثم رفع فى وجهه كرة شفافة ، تتألّق داخلها شرارات أرجوانية ، وضغطها من الجانبين ، و ...

وانطلقت الصاعقة الأرجوانية ..

القاتلة .

* * *



٣ ـ البحث ..

اندفعت (مشيرة) داخل مبنى (أنباء الفيديو) فى لهفة واضحة ، وهى تسأل مساعدها الأول :

ـ ماذا حدث ؟.. لماذا استدعيتنى على هذا النحو العاجل ؟

أجابها بكلمات لاهثة ، تشف عن انفعاله الجمّ :

ـ أحدهم اقتحم المستشفى المركزى ، ودمّر أحد أجنحته .

هتفت :

ـ حقًا ؟! .. ألم تصل أية معلومات ، بخصوص الدافع ؟

أجابها فى سرعة :

ـ رجال الأمن يتكتمون الأمر تمامًا ، وبعضهم يدّعى أن الأمر لا يتجاوز حدوث خلل فى توصيلات الغاز ، أدى إلى الانفجار ، ولكن أحد مصادرنا هناك يؤكّد أن ما حدث كان بهدف التخلّص من أحد المرضى الذى تمت إحاطته بسرية بالغة ، وبنطاق أمنى خاص ، منذ وصوله إلى المستشفى فى الأسبوع الماضى .

انعقد حاجباها ، وهى تتمتم بصوت شديد الخفوت :

ـ آه .. شخص يحاط بالغموض ، واستدعاء عاجل لـ (نور) و (أكرم) ، واقتحام عنيف للمستشفى المركزى .. لن أستحق منصبى هنا ، لو لم يكن هذا أحد قضايا المخابرات العلمية .

ثم أشارت إلى مساعدها ، وهى تقول فى نشاط :

ـ أرسل فريقًا من المصورين إلى المستشفى ، ودعهم يتجاهلون رجال الأمن وتعقيداتهم ، وليستخدموا عدسات بعيدة المدى ، من فوق سطح أى مبنى مجاور ، لو استلزم الأمر ، وابحث عن بعض المراسلين ، الذين نعتمد عليهم فى مثل هذه الظروف .. أريد منهم أن يدخلوا المستشفى ، ويحصلوا على أكبركم ممكن من الأخبار ، بأية وسيلة كانت .. فليتظاهروا بالمرض ، أو يرتكبوا حادثًا ملفقًا لو اقتضى الأمر ، المهم أن يحصلوا على الأخبار ..

سألها ، وهو يعدو خلفها تقريبًا ، فى الطريق إلى مكتبها :

ـ وماذا عن حظر النشر ؟

التفتت إليه فى حركة حادة ، وهى تقول :

ـ هل صدر قرار بحظر النشر ؟

أجابها مرتبكا :

ــ ليس بعد ، ولكنهم ، فى مثل هذه الظروف ..

قاطعته فى صرامة :

ــ فى مثل هذه الظروف ، ينبغى علينا أن نتحرك بأقصى سرعة ممكنة .. سنصدر عددًا خاصًا ، من أعداد (أنباء الفيديو) ، قبل صدور الأمر بحظر النشر .. هيا .. أسرع .. إننا لا نمتلك كل الوقت .

قالتها ، وواصلت سيرها فى خطوات واسعة نحو حجرتها الخاصة ..

ثم دوّى ذلك الانفجار فجأة ..

انفجار مكتوم ، ارتجّ له زجاج النوافذ ، وتساقطت له بعض أوانى الزهور ، وكادت (مشيرة) تفقد معه توازنها ، قبل أن تهتف :

ــ ما هذا بالضبط ؟

اندفع مساعدها نحو النافذة ، وهو يقول فى توتر شديد :

ــ لست أدرى .. انفجار آخر غامض .. ماذا يحدث فى هذه الليلة ؟

سألته ، وهى تسرع بدورها إلى النافذة :

ــ أين ؟.. أين حدث هذا الانفجار الجديد ؟

أشار بيده إلى مبنى قريب ، وهو يقول :

ــ فى مكتبة الجامعة .

تطلعت إلى المكان فى شغف ، وفضولها الصحفى يكاد يقتلها ، دون أن تتصوّر ، ولو لحظة واحدة ، أن المقصود بهذا الانفجار هو زوجها ..

(أكرم) ..

* * *

من المؤكد أن الفترة العصيبة ، التى قضاها (أكرم) فى تحفز وتوتر دائمين ، أيام مأساة ما بعد الاحتلال (*) ، قد تركت فى نفسه أثرًا عميقًا ، وغيّرت الكثير من عاداته وطباعه ، وصنعت منه مقاتلًا من طراز خاص ، اعتاد مواجهة الخطر وألفه ، واكتسب قدرة متميّزة على التعامل معه ، والتصدّى له ..

وعندما رأى (أكرم) ذلك الشخص فى مواجهته ، ووقع بصره على تلك الكرة الشفافة التى يصوبها إليه ، والشرارات الأرجوانية التى تتألق داخلها ، أدرك ، دون خبرة سابقة ، أنها سلاح غير معروف ، يهدّد حياته بالخطر ..

وفى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها الرجل جانبى الكرة ، كان (أكرم) قد اتخذ قراره ، ووضعه موضع

(*) راجع قصة (رمز القوة) المغامرة رقم (٨١) .



ومع انفجار ذلك الركن وانسحاقه بصاعقة قوية ، وثب (أكرم) ..

التنفيذ ، ووثب جانبا ، و ...

وانطلقت الصاعقة ..

كان انطلاقها قويًا عنيفا ، حتى أن طاقتها ألقته جانبا فى قوة ، وهى تمرق إلى جواره ، قبل أن ترتطم بأرفف الكتب خلفه ، ويدوى انفجارها العنيف ..

وفى سرعة ، أدار الرجل الكرة نحو (أكرم) ، وضغط جانبيها ثانية ..

وفى اللحظة نفسها ، انطلق (أكرم) يعدو بعيدا ، ومن خلفه دوى الانفجار الثانى ، فوثب بين ممرات الأرفف ، وراح يركض بينها على نحو عشوائى ، مما أثار غيظ الرجل وحنقه ، فاندفع خلفه ..

وكانت مطاردة عجيبة ، وسط المكتبة الضخمة ..

ولكن (أكرم) لم يكن ذلك الشخص ، الذى يواصل الفرار أمام خصمه ، مهما بلغت قوة هذا الأخير ، لذا فقد وثب يتعلق بأحد حواجز المكتبة ، واعتلاه فى خفة ، ثم قفز منه إلى حاجز آخر ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها ذلك الرجل صاعقة أخرى ، نسفت جانبا جديدا من أرفف الكتب ، ثم استدار ليطلق صاعقته على ذلك الركن ، الذى يحوى كل أبحاث الدكتور (حسن) ..

ومع انفجار ذلك الركن وانسحاقه بصاعقة قوية ، وثب (أكرم) ..

وكانت مفاجأة عنيفة للرجل و (أكرم) ينقض عليه من أعلى ، ويسقط معه أرضًا ..

وفقد الرجل كرة الطاقة مع الانقضاضة ، و (أكرم) يهتف :

ـ أخبرنى أيها الوغد .. هل يمكنك أن تقاتل بدون سلاحك العجيب هذا ؟

أطلق الرجل زمجرة عنيفة غاضبة ، ودارت يده حول ظهره فى سرعة ، وقبض على عنق (أكرم) ، وانتزعه من فوقه فى قوة عجيبة ، شعر (أكرم) معها وكأنه لا وزن له ، وخاصة عندما ألقاه الرجل ثلاثة أمتار إلى الأمام ، فارتطم بالجدار ، وسقط على وجهه أرضًا ، وكل عظمة فى جسده تئن ألمًا ، ولكنه اعتدل فى سرعة ، وامتدت يده نحو مسدسه ، وتحركت عيناه بحثًا عن غريمه ، الذى اندفع نحو كرته ، وانحنى يلتقطها فى سرعة ، وهو يطلق سبابًا بلغة غريبة ، ثم استدار فى مرونة مدهشة نحو (أكرم) ، وصوّب إليه الكرة ، وضغط جانبيها ..

ولم يكن (أكرم) قد استل مسدسه التقليدى تمامًا ، عندما انطلقت الصاعقة ، ولكنه وثب بكل قوته ، مبتعدًا عن مسارها ، وشعر بطاقتها تدفعه إلى الأمام فى عنف ، قبل أن تنفجر عند الجدار ..

ومع سقطته ، ترك (أكرم) جسده ينزلق فوق أرضية المكتبة ، وهو يدير يده التى تحمل مسدسه نحو خصمه ، الذى استدار ليطلق نحوه صاعقة أخرى بدوره ، ولكن (أكرم) ضغط زناد المسدس ..

وضغطه ..

وضغطه ..

وفى المكان ، الذى نسفت الصواعق نصفه تقريبًا ، دوت الرصاصات التقليدية خمس مرات متتالية ، واخترقت جسد الرجل فى مواضع شتى ، فشهق فى عنف ، وجحظت عيناه ، ثم هوى جثة هامدة ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها رجال الأمن ، الذين صوّبوا أسلحتهم إلى (أكرم) ، وكبيرهم يقول فى صرامة :

ـ ألق هذا المسدس ، وإلا ..

قاطعه (أكرم) ، وهو يقول فى سخرية عصبية :

ـ يا للهمة ! .. لقد وصلتم فى الوقت المناسب .

وألقى مسدسه أرضًا ، مستطردًا :

ـ كالمعتاد .

قالها واسترخى فى رقدته ، وأسبل جفنيه فى إرهاق ، تاركًا رجال الأمن يحدقون فى الدمار الشديد ، الذى أصاب المكان ، ورءوسهم تحمل سؤالًا واحدًا ..

أى سلاح الذى فعل كل هذا ؟..
أى سلاح ؟..

* * *

« نوع غير معروف على الإطلاق يا (نور) .. » ..

نطق الدكتور (ناظم) هذه العبارة ، وهو يشير إلى ما أصاب جناح الحالات الخاصة . فى المستشفى المركزى ، قبل أن يستطرد :

ـ المفروض ، طبقًا لدرجة التدمير ، أن المقتحم قد استخدم مدفعًا كبيرًا ، وهذا غير منطقى بالطبع ، ولا يوجد دليل واحد على حدوثه ، مما يعنى أن السلاح المستخدم هنا غير معروف لنا .

أدار (نور) عينيه فى المكان ، قبل أن يسأل :

ـ وماذا عن الدكتور (حسن) ؟

هز الدكتور (ناظم) رأسه فى أسى ، قبل أن يجيب :

ـ ياللمسكين ! .. لقد انسحق تمامًا ، وكاد يتلاشى من الوجود ، مع تلك الطلقة الرهيبة التى أصابته ، حتى أننا كدنا نستعين بملقط ، لجمع الكثير من أشلائه .

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وهو يستمع إلى الوصف ..

إنه لم ينجح أبدًا فى هضم تلك الأعمال العنيفة

القاسية ، على الرغم من عمله الطويل فى المخابرات العلمية المصرية ..

وعلى الرغم من كل المخاطر التى واجهها ..

ما زالت طبيعته تبغض العنف والتدمير ، وتميل إلى السلام والأمن ..

وهذا يدهش الكثيرين ..

ويذهل الأكثر ..

ولكنه أمر يدركه ويفهمه كل المقربين ، وعلى رأسهم الدكتور (ناظم) ، الذى ربت على كتف (نور) ، قائلاً :

ـ إنه أمر بشع .. أليس كذلك ؟

غمغم (نور) :

ـ بالتأكيد .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ليسيطر على أعماقه الثائرة ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكن لماذا يسعى شخص ما ، أو تسعى جهة ما ، لتدمير الدكتور (حسن) بهذا الشكل البشع ؟! .. ما الذى تمثله لهم عودته من خطورة ؟ .. أية أسرار تلك التى كان يحملها فى أعماقه ، والتى جلبت خصمه خلفه ، على هذا النحو ؟!.. أين اختفى طوال ما يقرب من عامين كاملين ؟. بل كيف اختفى ؟. وكيف عاد ؟ ..

لوّح الدكتور (ناظم) بيده ، هاتفًا :

ـ رويدك يا (نور) .. لقد ألقيت كمًّا من الأسئلة ، يكفى لإلهاب عقلى لعام كامل .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ كل هذه الأسئلة تندرج تحت تساؤل واحد يا سيّدى .. من وراء كل هذا ؟.. ولكى نجيب عن هذا التساؤل ، لابد وأن نعثر على جواب لأى سؤال من الأسئلة السابقة ، ونتمسك به كطرف خيط ، يقودنا إلى أجوبة الأسئلة الأخرى ، وإلى كشف هذا الغموض بالتالى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اتجه نحوه أحد رجال الأمن ، وأدّى التحية العسكرية ، قبل أن يقول :

ـ اتصال عاجل يا سيّدى .

التقط منه (نور) جهاز الاتصال ، وهو يقول :

ـ هنا المقدّم (نور الدين) .. من المتحدّث ؟

أتاه صوت (أكرم) ، وهو يقول :

ـ إنه أنا يا (نور) .. معذرة لأننى لم أستخدم دائرة الاتصال الخاصة ، فقد جردونى منها .

سأله (نور) فى قلق :

ـ من هؤلاء الذين جردوك منها ؟.. ماذا يحدث عندك بالضبط ؟

أجابه (أكرم) :

ـ رجال الشرطة .. اسمعنى جيدًا ، وسأروى لك الأمر كله .

استمع إليه (نور) فى صمت واهتمام ، ثم هتف :

ـ ربّاه ! .. إذن فهم يتعقبون كل آثاره .. اسمع يا (أكرم) .. سيصل أحد رجالنا الآن لإطلاق سراحك .. استعد سلاحك وأدواتك ، والحق بى بسرعة ، عند منزل الدكتور (مراد حنا) .

سأله (أكرم) :

ـ هل تعتقد أنهم سيذهبون إليه ؟

أجابه (نور) فى توتر :

ـ ليس لدى أدنى شكّ فى هذا .. إنهم يسعون لمحو كل ما يتعلق بالدكتور (حسن) ، ولم يعد باقيًا سوى زميل أبحاثه ، الدكتور (مراد) .. سأنطلق إلى منزله على الفور .. الحق بى هناك بأقصى سرعة .

قالها ، وانطلق على الفور ، دون أن يضيع لحظة واحدة ، ودون أن يحاول حتى شرح الموقف للدكتور (ناظم) ..

كان يعلم أنه فى سباق رهيب مع الزمن .. ومع الخطر ..

* * *

ارتفع رنين هاتف الفيديو ، فى منزل الدكتور (مراد حنا) . فأسرع يلتقط سماعته ، وهو يقول ، دون أن يضغط زر الناقل الضوئى :

ـ من المتحدث ؟

أتاه صوت (نور) ، يقول فى انفعال واضح :

ـ أنا المقدم (نور الدين محمود) ، من المخابرات العلمية المصرية .. أريد التحدث إلى الدكتور (مراد) .

أجابه الرجل فى شىء من القلق :

ـ أنا الدكتور (مراد) .. ماذا تريد منى ؟

قال (نور) فى توتر :

ـ استمع إلىّ جيدًا يا دكتور (مراد) فالأمر جد خطير ، سيصل إليك بعد دقيقتين تقريبًا ، اثنان من رجالنا ، أريد أن تصحبهما مع زوجتك دون مقاومة ، فلديهما أمر بنقلك إلى مكان أمين ، يمكن حمايتك فيه .

ارتجف الرجل فى توتر شديد ، وهو يقول :

ـ لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟

أجابه (نور) ، وصورته على شاشة هاتف الفيديو ، تعكس توتره الزائد :

ـ لقد عاد الدكتور (حسن صابر) .

كانت صورة (نور) واضحة على شاشة هاتف

الدكتور (مراد) ، ولكن هذا الأخير لم يسمح بنقل صورته إلى هاتف (نور) ، لذا فلم يره هذا الأخير ، وهو يرتد كالمصعوق ، عندما سمع العبارة ، ولا رأى وجهه ، الذى امتقع فى شدة ، حتى بدا وكأنه قد خلا تمامًا من الدماء ، وهو يهتف ذاهلا :

ـ عاد ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ نعم يا دكتور (مراد) .. أنا فى طريقى إليك ، وسأشرح لك الأمر كله ، ولكن يكفى أن تعلم أن عودته جلبت معه لغزًا غامضًا ، ربما لا تجد حلاً له إلا ..

فجأة ، بُترت عبارة (نور) ، واختفت صورته من شاشة الهاتف ، فى نفس اللحظة التى انطفأت فيها أضواء المنزل كلها ، فهتفت زوجة الدكتور (مراد) .

ـ ماذا حدث ؟!

انتفض جسد الدكتور (مراد) فى عنف ، وهو يجيب :

ـ أعدى حقيبتنا .. سنغادر المنزل على الفور .

قالت فى دهشة :

ـ بسبب انقطاع التيار ؟!

صاح بها فى توتر عنيف :

ـ لا تسألى .. نفذى ما طلبته منك فحسب .

كانت أعماقها تشتعل بمزيج من الخوف والقلق ، ولكنها أسرعت تجلب مصباحًا يدويًا احتياطيًا ، واتجهت نحو السلم الداخلى ، الذى يقود إلى حجرات النوم فى الطابق العلوى ..

وفجأة ، انتفض جسدها كله فى رعب ، وانطلقت من حلقها صرخة عنيفة ، عندما لاح لها ظل ضخم ، يقف إلى جوار السلم ، وتراجعت هاتفة :

ـ (مراد) .. (مراد) .. هناك لص داخل المنزل .

شهق الدكتور (مراد) بدوره ، وهم بالتحرك لنجدتها ، فى نفس اللحظة التى رفع فيها ذلك الضخم يده ، وتألقت فيها كرة أرجوانية ..

ثم انطلقت الصاعقة ..

ولم تجد الزوجة المسكينة وقتًا لتطلق صرخة واحدة .

لقد انتزعتها الصاعقة من مكانها ، ودفعتها عبر الردهة كلها ، حتى ارتطم جسدها بحاجز الشرفة الزجاجى ، وانتزعه من مكانه ، قبل أن ينسحق الجسد كله دفعة واحدة ، ويسقط وسط بحر من الدماء ، فى الحديقة الأمامية ..

وانطلقت من الدكتور (مراد) صرخة هائلة ، ضاعت

مع دوى الصاعقة ، فى حين استدار نحوه الضخم ، واستعد لإطلاق صاعقة ثانية ..

وانطلق الدكتور (مراد) يعدو بكل قوته ، وهو يطلق صرخات رعب وارتياع ..

ومن خلفه ، انفجرت صاعقة ثانية ، ضربت طاقتها ظهره ، فشعر وكأن النيران قد اشتعلت فيه ، وهو يندفع نحو الباب ، ويرتطم به فى عنف ، فيحطمه بصوت مخيف ، ويسقط معه فى الحديقة ..

وأدار الضخم الكرة نحوه ، وهمّ بضغط جانبيها ثانية ، عندما مرقت أشعة الليزر فى المكان ، ووثب اثنان من رجال المخابرات العلمية داخله ، وهما يطلقان النار نحو ذلك الضخم ، الذى تلقى الأشعة فى صدره ورأسه ، فاندفع جسده إلى الخلف فى عنف ، وسقط على ظهره بدوىّ عنيف ، وطارت تلك الكرة الأرجوانية من يده ، ثم سقطت وارتطمت بالأرض فى قوة ، وتدحرجت نحو الرجلين ، فهتف أحدهما :

ـ إنها قنبلة .

أسرع زميله يصوّب مسدسه الليزرى نحو الكرة ، وضغط الزناد ، فانطلقت الأشعة القوية ..

ودوى الانفجار ..

انفجرت الكرة فى قوة رهيبة ، وكأنها عشر قنابل فى آن واحد ، وتعالى فى السماء وهج أرجوانى مخيف ، اخترقته ألسنة لهب هائلة ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارة (نور) إلى المكان ، فهتف فى ارتياع :

– رباه ! .. لقد وصلت متأخرًا .

أوقف سيارته على بعد أمتار قليلة ، من النيران المشتعلة ، وقفز منها فى ذعر ، ووقع بصره على الجسد الملقى على قيد متر واحد من ألسنة اللهب ، فاندفع نحوه ، وهو يهتف :

– رباه ! .. أمن الممكن أن ..

انحنى يفحص ذلك الجسد ، وتضاعف توتره فى شدة .

كان الدكتور (مراد) ، قد احترق قميصه من الخلف ، وأصابت النيران شعره ، وجزءًا من وجهه ..

ولكنه لم يمت بعد ..

كان فاقد الوعى فحسب ، فحمله (نور) بسرعة ، وانطلق به إلى سيارته ، وهو يهتف :

– إنه حى .. حمدًا لله .. إنه حى .

وضعه داخل السيارة ، ثم وثب خلف عجلة القيادة ، وضغط دواسة الوقود ، وانطلق بأقصى سرعة ..

وفى صدره ، راح قلبه يخفق بأقصى سرعة ..

لقد كان على حق ..

إنهم يسعون لتصفية كل ما يقترب من الدكتور (حسن) .

ملفه ..

أبحاثه ..

وحتى أصدقائه ..

وهذا يعنى أن الأمل فى حل اللغز يكمن فى نجاة الدكتور (مراد) ..

الأمل الوحيد ..

ولم تكد الفكرة تستقر فى رأسه ، حتى لمح ذلك الشبح ..

شبح شخص مفتول العضلات ، يعترض طريق السيارة من بعيد ، ويصوب نحوها كرة شفافة ، ذات بريق أرجوانى ..

كرة تحمل الخطر ..

والموت ..

* * *



٤ ــ الأمل ..

أدرك (نور) طبيعة السلاح الموجّه إليه من اللحظة الأولى ..

لقد ربطه بآثار الدمار فى المستشفى ، وما رواه له (أكرم) ، و ..

وانحرف بسارته فى حركة حادة ..

وفى نفس اللحظة ، التى خرجت فيها سيارته عن الطريق ، انطلقت الصاعقة ..

وعلى الرغم من أنها لم تصب السيارة ، إلا أن (نور) شعر بطاقتها الهائلة ، وهى تمرق إلى جواره ، ثم تواصل طريقها ، وتنسف سور أحد المنازل ، فى نهاية الشارع ..

وعاد (نور) إلى الطريق ، فى حركة حادة أخرى ، ثم انطلق بأقصى سرعة نحو الرجل ، الذى صوّب إليه الكرة مرة ثانية ..

وأدرك (نور) ، فى جزء من الثانية ، أنه لن ينجح أبدًا فى بلوغ ذلك الرجل ، قبل أن يطلق صاعقته الثانية ، وفى الجزء المتبقى من الثانية ، مال بسيارته فى عنف ،

فى محاولة لتفادى تلك الصاعقة ، التى انطلقت بالفعل .

ودوى الانفجار هذه المرة ، على قيد نصف المتر من مقدّمة سيارة (نور) ، التى قفزت قفزة مخيفة ، ثم مالت على جانبها فى عنف ، وانقلبت بشكل مخيف ، وراحت تنزلق على الطريق ، متجهه نحو ذلك الرجل ، الذى وثب لتفاديها ، وهى تدور حول نفسها بسرعة ، ولكن مقدّمتها أصابته ، فسقط أرضًا ، وأفلتت منه الكرة الأرجوانية القاتلة ..

وفى نفس اللحظة ، التى هبّ فيها الرجل واقفًا ، واندفع محاولاً استعادة الكرة ، برز (نور) من نافذة السيارة ، ووثب نحوه بكل قوته ..

سقط الاثنان أرضًا ، ولكم (نور) الرجل بكل قوته ، وهو يهتف :

ــ أعتقد أنك تدين لنا بالكثير يا رجل ..

تلقّى الرجل اللكمة ، وزمجر فى غضب ، وأطلق عبارة غير مفهومة ، بلغة لم يسمع (نور) مثلها قط ، قبل أن يقبض بأصابع من فولاذ على وسط هذا الأخير ، ويرفعه عنه بقوة مخيفة ، ثم يلقيه جانبًا ..

وسقط (نور) على ظهره ، وهو يشعر بالدهشة ، أضعاف ما يشعر بالألم ، فلم يكن يتصوّر أبدًا أن ذلك

الرجل يمتلك قوة خارقة إلى هذا الحد ..

وبقفزة ماهرة ، هبّ واقفا على قدميه ، يواجه خصمه ، الذى انقضّ عليه ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، ثم هوى بقبضته على فكه بلكمة قوية ، انحنى (نور) متفاديا إياها فى براعة ، ثم استجمع قوته كلها فى قبضتيه المضمومتين ، واعتدل يهوى بهما على فك الرجل ..

وتراجع الرجل مع قوة الضربة ، وترنّح لحظة ، ثم عاد يزمجر ، ويصرخ بتلك العبارات غير المفهومة ، وتراجع إلى الخلف بسرعة ، وانحنى ليستعيد الكرة الأرجوانية ، فاستلّ (نور) مسدسه الليزرى ، وصاح به :

— إياك أن تفعل .

ولكن الرجل التقط الكرة ، واعتدل فى شراسة ، فقفز (نور) إلى الخلف ، صائحًا :

— ستجبرنى على فعل ما أكره .

أطلق الرجل زمجرة أخرى ، وصوّب الكرة نحو (نور) ، و ..

ولم يعد هناك مهرب من الموت ..

* * *

فجأة ، دوت الرصاصات ..

رصاصات ثلاث ، اخترقت جسد الرجل ، الذى جحظت عيناه فى شدة ، ولكنه لم يسقط أرضًا ، وإنما دار على عقبيه ، متجاهلا الدماء التى أغرقت صدره ، وأطلق صرخة غاضبة ، وهو يصوّب الكرة نحو المصدر الذى انطلقت منه الرصاصات ، ولكن صاحبها هتف وهو يقفز جانبًا ، وينحنى فى مهارة ، مصوّبًا مسدسه :

— يالك من مكابر !

وصاح (نور) :

— لا .. لا تقتله .

ولكن الرصاصات دوت مرة أخرى ، لتخترق رأس الرجل ، الذى تراجع فى عنف ، وسقط على ظهره كجوالٍ من البطاطس ، وهمدت حركته دفعة واحدة ..

وفى غضب ، هتف (نور) :

— لماذا ؟.. لماذا قتلته ؟

نهض (أكرم) فى هدوء ، ونفخ الدخان المتصاعد من فوهة مسدسه التقليدى ، قبل أن يعيده إلى حزامه ، قائلاً :

— تقبّل أسفى يا ذا القلب المرهف .. كان المفروض

أن أتركه يسحقك بصاعقته أولاً ، ثم أضع يدى على كتفه ، قائلاً .. اسمح لى بإلقاء القبض عليك .

صاح (نور) ، وهو يلوّح بسبّابته فى وجهه :

ـ هل ستظل انفعالاتك أسبق من عقلك دائمًا ؟! .. ألا يمكنك التفكير مرة واحدة ، فى عواقب ما تفعله ؟! .. المفروض أن نبذل قصارى جهدنا لإلقاء القبض على مثل هذا الشخص .. إنه يحمل أحد أجزاء اللغز فى وجوده هنا ، وفى ذلك السلاح العجيب الذى يستخدمه .

تقدّم (أكرم) إلى الأمام فى هدوء ، وانحنى يلتقط الكرة الأرجوانية ، من بين أصابع القتيل ، ورفعها أمام وجه (نور) ، قائلاً :

ـ لا تقلق بشأن ذلك السلاح .. ها هوذا .

انعقد حاجبا (نور) فى غضب ، وبذل جهدًا خرافيًا للسيطرة على أعصابه ، وهو يقول :

ـ لا يوجد وقت لمناقشة هذا الآن .. المفروض أن ننقل الدكتور (مراد) بأقصى سرعة إلى المستشفى ، وبعدها سنناقش الأمر .

قالها ، واندفع نحو السيارة ، محاولاً إخراج الدكتور (مراد) منها ، فهتف (أكرم) فى حنق :

ـ أى موقف هذا ؟!.. أنقذ حياته فى اللحظة الأخيرة ،

فيثور ويتهمنى بالحماقة .. هذا ليس عدلاً .

ارتفع فى تلك اللحظة صوت بوق سيارات الإسعاف والإطفاء والشرطة ، وهى تقترب من المكان ، فغمغم (نور) ، وهو يُرقد الدكتور (مراد) أرضًا ، ويفحصه فى توتر :

ـ أسرعوا بالله عليكم .. أسرعوا ..

ومرة أخرى ، شعر أنه يخوض سباقًا رهيبًا .. سباق مع الموت ..

* * *

« ماذا يحدث هذه الليلة ؟! .. » .

هتف طبيب المستشفى المركزى بالعبارة فى توتر زائد ، ولوّح بذراعه كلها ، مستطردًا :

ـ هل اشتعلت الحرب العالمية الجديدة أم ماذا ؟! .. الانفجارات تدوى هنا ، وفى أماكن أخرى من المدينة ، والنيران تشتعل ، والقتلى والمصابون يتوافدون طيلة النهار ، ماذا تفعلون فى المدينة ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ نحاول حمايتها يا سيدى الطبيب .

ثم أضاف فى سرعة ، حتى لا يمنحه الفرصة للتعليق على العبارة :

— المهم .. هل يمكننا التحدث إلى الدكتور (مراد) الآن ؟

مطّ الطبيب شفتيه فى حنق ، وقد فهم ما يرمى إليه (نور) ، ثم أجابه فى ضيق :

— نعم .. لقد استعاد وعيه ، وإصابته لا تتجاوز بعض الحروق السطحية ، والكدمات البسيطة ، ولكن صدمته لمصرع زوجته تصيبه باكتئاب شديد ، فلا تسرفوا فى استجوابه ، وإلا ..

قاطعه (أكرم) فى برود :

— لن نفعل .

ثم أزاحه جانبًا ، ودلف إلى الحجرة ، مستطردًا :

— هيا يا (نور) . ليس لدينا وقت نضيعه .

اعتدل الدكتور (مراد) على فراشه ، يستقبلهما فى توتر ، وهو يقول :

— سمعت الطبيب يتحدث عن استجوابى ! .. لماذا تسعيان إلى هذا ؟!.. لم أرتكب أية أعمال غير قانونية .

ربّت (نور) على كتفه مهدئًا ، وهو يقول :

— لقد أساء فهم موقفنا .. إننا هنا لنتحدث معك فحسب ..

سألهما فى حذر :

— فى أى أمر ؟

أجابه (أكرم) ، فى شىء من الصرامة :

— فى أمر الدكتور (حسن صابر) .

انكمش الرجل فى مقعده ، وهو يقول :

— ماذا عنه ؟.. لست أعرف أى شىء يخصه ، منذ اختفى فى بحر الرمال الأعظم ، منذ ما يقرب من العامين .

قال (نور) ، وهو يتفحص انفعالاته جيدًا :

— ما عنوان بحثكما المشترك الأخير ؟

شحب وجه الرجل ، وهو يقول :

— لماذا تسأل ؟

أتاه صوت (نور) صارمًا هذه المرة ، وهو يقول :

— أحاول تفادى جرك إلى استجواب رسمى ، تحتل أخباره مانشيتات الصحف ، ويتحدث عنه الجميع يا دكتور (مراد) .. أحاول تمرير الموقف بصفة ودية ، وأرجو ألا يجبرنى صمتك على التنازل عن محاولتى ، وتحويل الأمر برمته إلى النائب العام .

ازدرد الرجل لعابه ، وخفض صوته ، وهو يتمتم فى توتر شديد :

— أرجوكما .. اعترف أننى أخطأت ، عندما استوليت

على ذلك البحث ، ونسبته لنفسى ، بعد اختفاء الدكتور (حسن) ، ولكننى تصورت أن هذا لن يضير أحدًا .. إنه لم يكن متزوجًا ، وليس له أقارب ، و ..

قاطعه (أكرم) فى صرامة :

ـ إذن فأنت الذى محا بياناته من الملفات المركزية .

ارتجف الدكتور (مراد) وهو يقول :

ـ اخفض صوتك ، أرجوك .. لن أحتمل الفضيحة .. إننى أعتذر عن كل ما فعلته ، ولكننى لم أقصد ضررًا .

أشار إليه (نور) بسبابته ، وهو يقول :

ـ لا عليك .. لن نحاول فضح الأمر ، ولكن أخبرنا .. ما موضوع ذلك البحث .

ازدرد الرجل لعابه فى توتر ، قبل أن يجيب :

ـ الأرض المفقودة .

انعقد حاجبا (نور) و (أكرم) ، وتبادلا نظرة سريعة ، ملؤها التوتر والانفعال ، قبل أن يهتف الأخير :

ـ إنه المصطلح نفسه ، الذى استخدمه الدكتور (حسن) فى المستشفى .

أما (نور) ، فسأل الدكتور (مراد) فى اهتمام شديد :

ـ أية أرض هذه ؟

تلفت الرجل حوله فى خوف ، وكأنه يخشى عدوًا وهميًا ، قبل أن يجيب فى صوت خافت :

ـ إنه مكان أشارت إليه الوثائق القديمة ، التى عثرنا عليها فى الواحات ، فى صيف عام ألفين وواحد .. فى البداية تصورنا أنها مجرد أسطورة وهمية ، من نسج أحد الفلاسفة الإغريق ، فقد كانت الوثائق تتحدث عن أرض خفية ، فى صحراء (مصر) الغربية ، يعيش فيها قوم جاءوا من وارء المحيط ، من عالم آخر ، يشاركنا نفس الفراغ الذى نحيا فيه ، ولكننا لا نستطيع رؤيته ، أو الوصول إليه ، إلا عبر بوابة خاصة ، لا يعرف مكانها أو موقعها سوى علماء وأباطرة تلك الأرض المفقودة وحدهم .

انعقد حاجبا (نور) و (أكرم) وقال الأخير فى دهشة متوترة :

ـ وهل اختلف تصوركم هذا ؟! .. إنها تبدو لى بالفعل أشبه بالأساطير ، ولا تمت بصلة لعالم الواقع .

أشار الدكتور (مراد) بسبابته ، قائلاً :

ـ كان هذا رأيى ، ولكن الدكتور (حسن) لم يستسلم له ببساطة ، بل واصل البحث والدراسة ، وقام بالحفر مرة أخرى فى نفس المنطقة التى عثرنا فيها على



انفجار أطاح بالجدار خلفه مباشرة ، ونسف جسده مع الفراش ..

الوثائق القديمة فى الواحات ، واستغرق هذا منه عدة سنوات طوال ، كاد يتملكه فيها اليأس ، لولا أن أسفر الحفر فجأة عن العثور على أكثر الوثائق أهمية وخطورة .. تلك الوثيقة التى تتحدث عن الناجين من (أطلانتس) .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، وهتف :

ـ (أطلانتس) ؟! .. ألهذا الأمر علاقة بتلك القارة القديمة ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

ـ علاقة وثيقة ، ربما تجدون فيها حل اللغز كله .

سأله (أكرم) فى لهفة :

ـ وماذا تقول تلك الوثيقة !

انفرجت شفتا الدكتور (مراد) ، ليجيب السؤال ، و .. ولكن الانفجار سبقه ..

انفجار أطاح بالجدار خلفه مباشرة ، ونسف جسده مع الفراش ، قبل أن ينطق بحرف واحد إضافى ، وألقى (نور) و (أكرم) مترين إلى الخلف ، فارتطما بالجدار فى قوة شديدة ، دار لها رأساهما ، ومادت الأرض تحت أقدامهما ..

وسقط (أكرم) أرضًا ، وقد فارقه وعيه ، من شدة

وعنف الصدمة ، أما (نور) ، فقد قاوم تلك الغيبوبة ، التى تهاجم رأسه فى إصرار ، ورأى بعينين يحيطهما الضباب ذلك الرجل الطويل النحيل ، ذا العينين الغائرتين المخيفتين ، الذى يحدجه بنظرة صارمة ، ويده تمسك بالكرة الأرجوانية ، خلف الجدار المنهار ..

ثم تكاثف ذلك الضباب بغتة ..

وأظلمت الدنيا ..

وانتهى الأمر ..

* * *

فجأة ، استعاد (نور) وعيه ..

انبعث الضوء فى عقله بغتة ، فأضاء ذهنه دفعة واحدة ، واستعاد ذاكرته كلها بضربة خاطفة ، فاعتدل يهتف :

ـ الدكتور (مراد) .

انتبه فجأة إلى أنه يرقد على فراش صغير ، داخل المستشفى المركزى ، وإلى جواره تجلس (سلوى) ، التى أسرعت إليه ، قائلة :

ـ اهدأ يا (نور) .. اهدأ .. حمدًا لله على سلامتك .

أدار عينيه فيما حوله ، ورأى (أكرم) جالسًا على فراش آخر ، فى الطرف المقابل للحجرة ، وإلى جواره تجلس (مشيرة) التى قالت فى شىء من التوتر :

ـ لقد نجوتما هذه المرة أيضًا .

وأضاف (أكرم) فى غضب :

ـ ولكننا فقدنا خيطنا الأخير .

قال (نور) فى انفعال :

ـ ولكننى رأيته .. رأيت القاتل .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وهو يقول فى دهشة :

ـ رأيته ؟! ..

استعاد عقل (نور) ذلك المشهد للرجل النحيل الطويل ، صاحب الوجه المخيف ، وقال فى توتر :

ـ نعم .. رأيته .. إنه رجل رهيب ، أشبه بأولئك الذين يستعينون بهم فى أفلام الرعب .

اندفعت (مشيرة) ، تقول فى حدة :

ـ ألن يخبرنى أحدكما عما يحدث هنا ؟ إننى أكره الجلوس كالتماثيل .

أجابها (نور) فى حزم :

ـ ليس من حقنا أن نفعل يا (مشيرة) .

وأكمل (أكرم) فى غلظة :

ـ وبالذات مع أرباب الصحافة والفيديو .
احتقن وجهها في حدة ، وهى تقول :
ـ ماذا تقصد يا (أكرم) ؟
أسرعت إليها (سلوى) ، قائلة :
ـ (أكرم) لا يقصد شيئا يا (مشيرة) .. إنها قوانين عالم المخابرات ، الذى أصبح ينتمى إليه .. لا يمكن التحدث عن أية مهمة لأى شخص .
هتفت غاضبة :
ـ ولكننى لست مجرد شخص عادى .. أنا زوجته .. ثم إننى شاركت عدة مرات فى أعمال المخابرات العلمية .
صاحت بها (سلوى) :
ـ أنا أيضًا فعلت ، وكنت أحد أعضاء الفريق الأساسيين ، ولكن حتى هذا لا يمنحنى الحق في كشف أسرار أية عمليات جديدة .
لوحت (مشيرة) بسبابتها فى وجهها ، هاتفة :
ـ هذا لأنك تركت العمل بإرادتك .
احتقن وجه (سلوى) ، وارتبك لسانها فى حلقها لحظات ، قبل أن تغمغم :
ـ نعم .. تركته بإرادتى .
قالتها فى أسى عجيب ، جعل (مشيرة) تتراجع

متوترة ، وقد امتلأت نفسها بالكثير من الحرج والندم .
فى حين احتوى (نور) زوجته بين ذراعيه ، وهو يهمس فى حنان :
ـ هل تشعرين بالندم يا عزيزتى ؟
تنهدت قائلة :
ـ كلا يا (نور) .. لا يمكننى أن أشعر بالندم .
ثم التفتت إليه مستطردة :
ـ ولكننى كنت أتمنى أن أعمل إلى جوارك دائمًا .. لا يمكنك أن تتصور كم أشعر بالقلق والخوف ، عندما تكون بعيدًا عنى .
ضمها إلى صدره فى حنان ، وهو يقول :
ـ أنا دائمًا إلى جوارك يا عزيزتى ، وأعدك ، عندما ينتهى هذا الأمر ، أن أصطحبك فى رحلة إلى (المريخ) ، لزيارة (نشوى) و (رمزى) .
تراجعت هاتفة فى سعادة :
ـ حقًا يا (نور) ؟! .. إننى أشتاق إليهما بالفعل .
قال (أكرم) مبتسمًا :
ـ هل تمانعان لو شاركناكما رحلتكما ؟
أجابته (سلوى) فى حماس :
ـ مطلقًا ..

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى ارتفع رنين الهاتف المجاور لفراش (نور) ، فالتقط سمّاعته في حركة آلية ، وهو يقول :

ـ من المتحدّث ؟

أتاه صوت (هناء) ، وهي تقول :

ـ (نور) .. حمدًا لله على سلامتك .. الدكتور (ناظم) أخبرني أنك فقدت وعيك أنت و (أكرم) ، في الهجوم الأخير .

أجابها (نور) في هدوء :

ـ لقد استعدنا وعينا دون إصابات إضافيه .. شكرًا لك .

قالت في لهفة واضحة :

ـ عظيم .. أيمكنكما الحضور إلى هنا إذن .. لقد فحصت ذلك الحيوان ، والنتائج التي توصلت إليها مدهشة .. مدهشة بحق .

وكان هذا القول يكفي ليقفز (نور) و (أكرم) من فراشيهما ..

وليواصلا سباقهما مع اللغز ..

لغز الأرض المفقودة ..

* * *

« هذا الحيوان لم يتم تكوينه بأية وسيلة يا (نور) » .

نطقت (هناء) هذه العبارة في حسم ، جعل حاجبي (نور) يرتفعان في دهشة ، في حين قال (أكرم) :

ـ ماذا تعنين ؟

أشارت إلى الرسم المعقّد على شاشة الكمبيوتر ، وهي تجيب :

ـ لقد أجريت الصفة التشريحية على ذلك الحيوان ، وتأكدت من أن كل جزء فيه قد نما بشكل طبيعي ، ولم تتم إضافته جراحيًا ، وهذا يعني أن ذلك الكائن مجرّد نتاج طبيعي ، ينمو في بيئة تناسبه .

سألها (نور) في اهتمام :

ـ أأنت واثقة من هذا ؟

أشارت بسبّابتها ، قائلة :

ـ إنني لم أكتف بالصفة التشريحية ، وإنما أجريت فحصًا للجينات الوراثية للكائن أيضًا ، وجاءت النتائج لتؤكد ما توصلت إليه تشريحيًا .. هذا الكائن توالد طبيعيًا ، في بيئة مختلفة .

قال (أكرم) في حيرة :

ـ ماذا تعنين ببيئة مختلفة ؟

تنهّدت ، قبل أن تقول :

ـ سؤال عسير للغاية يا (أكرم) ، فعلى الرغم من العثور على ذلك الكائن فى قلب الصحراء ، إلا أن تكوينه العام يؤكد أنه يحيا فى مناطق قطبية على الأرجح ، فالفراء الكثيف ، والجلد السميك ، والقوائم الكبيرة .. كل هذا من صفات الحيوانات القطبية .

سألها (نور) :

ـ وكيف يمكن أن يتواجد حيوان قطبى فى قلب الصحراء ؟

أجابته فى هدوء :

ـ إنها مشكلتكما يا (نور) .. البحث عن جواب للغز ، ولكن عندى تصحيح بسيط .

ورفعت سبابتها أمام وجهها ، مستطردة :

ـ إنه نصف حيوان ، وليس حيوانًا كاملاً .

عقد (أكرم) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ إننا نعلم هذا .

أما (نور) ، فسألها فى اهتمام :

ـ حسن .. ماذا لديك ، بخصوص هذه النقطة ؟

قالت فى حزم :

ـ الخلايا يا (نور) .. الخلايا فى المنطقة المبتورة من الحيوان ، مسحوقة على نحو عجيب ، ومبتورة بحدة مدهشة .

سألها فى شىء من الحذر :

ـ وماذا فى هذا ؟.. الدكتور (ناظم) قال من قبل : إنها تبدو كما لو أن مقصلة بالغة الحدة قد بترتها .

هزّت رأسها نفيًا ، قبل أن تقول :

ـ ليس هذا فحسب يا (نـور) ، فالبتر يفوق ما يمكن أن تفعله أضخم مقصلة فى العالم ، وأكثرها حدة ، إذ إن بعض الخلايا مشقوقة ، وبعضها الآخر أزيل غشاؤه البلازمى ، أو الجدار الخلوى (*) وهذا لا يمكن أن يحدث إلا بوساطة شعاع بالغ الدقة والقوة من الليزر ، أو بطاقة هائلة ، لم نتوصّل إلى مثلها بعد ، فى عالمنا هذا .

تبادل (نور) و (أكرم) نظرة متوترة ، فقد كان حديثها هذا يعنى أن اللغز يزداد تعقيدًا .

يزداد فى شدة .

* * *

(*) الخلية : فى البيولوجيا ، وحدة التركيب والوظيفة ، ومنها تتركب أجسام الحيوانات والنباتات ، والمادة الحية لها هى (البروتوبلازما) ، وتتكوّن من النواة ، و(السيتوبلازما) ، التى يوجد حولها غشاء بلازمى ، وبها شبكة اندوبلازمية ، وأجسام (جولجى) ، والأجسام السبحية ، والجسم المركزى ، وفى الكائنات وحيدة الخلية ، تباشر الخلية جميع وظائف الحياة ، أما فى عديدات الخلية ، فتتخصص كل مجموعة من الخلايا لأداء وظيفة محدودة .

٥ ـ الطاقة ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثانية والنصف صباحا ، داخل مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، عندما أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابا ، وهو يقول :

ـ إنها على حق يا (نور) .. إنها طاقة هائلة ، لم نتوصّل إلى مثلها قط .

ومدّ يده في حرص ، ليلتقط الكرة الأرجوانية ، التي تم الحصول على اثنتين منها ، بعد مصرع اثنين من رجال الأرض المفقودة ، وهو يستطرد :

ـ إننا نبحث عن طريقة لفحصها ، ولكنها تبدو لنا أشبه بكرة مصمتة ، لا سبيل لفتحها ، أو الدخول إليها قط ، ولا نعرف حتى كيف يمكننا أن نطلق الطاقة الحبيسة داخلها .

أشار (أكرم) إلى الكرة ، وهو يقول :

ـ كان ذلك الوغد يضغط جانبيها ، فتنطلق منها الصاعقة ..

قلب الدكتور (ناظم) كفه ، وهو يقول :

ـ أي جانبين ؟! .. إنها كرة يا (أكرم) .. كرة .. والكرة جسم هندسي لا بداية له ولا نهاية .. لا يمكنك أن تحدّد أمامه وخلفه .. أعلاه وأسفله .

قال في عصبية :

ـ يمكننا أن نحاول .

قال الدكتور (ناظم) في سرعة :

ـ وما نتيجة المحاولة ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ماذا تعني ؟!

تنهّد (نور) ، مجيبا :

ـ الدكتور (ناظم) يحاول أن يشرح لك المنهج العلمي ، في التعامل مع مثل هذه الأمور يا (أكرم) ، فعندما تجهل كل شيء ، عن الشيء الذي تفحصه ، من الأفضل ألا تتسرّع بفعل شيء ما ، حتى لا تشعل جهاز أمان تجهله ، فتنفجر الكرة مثلا ، وتفقدها قبل أن تفحصها .. المفروض أن تبدأ أوّلا بفحصها خارجيا ، بكل الوسائل الممكنة ، حتى تتعرّفها جيدا ، قبل أن تحاول تجاوز سطحها الخارجي ، والغوص في أعماقها .

قال في حنق :

ـ وكم يستغرق هذا المنهج العلمي الأنيق ؟.. عاما أم عامين ؟!

أجابه الدكتور (ناظم) فى صبر :
— لا أحد يمكنه الجزم .. إننا نقوم بعملنا فحسب ، أما النتائج فهى فى علم الخالق (عزّ وجلّ) .
تراجع (أكرم) فى مقعده ، وهو يقول :
— بالنسبة لى ، أنا مقتنع بهذا تمامًا .
ثم أشار بسبابته ؟ وهو يستعيد عصبيته ، مستطردًا :
— المهم أن تقتنع هؤلاء ، الذين لم يتوقّفوا عن إزهاق الأرواح ، منذ عشرين ساعة كاملة .
فتح الدكتور (ناظم) شفتيه ، ليقول شيئًا ما ، عندما هتف أحد الرجال فى توتر ، وهو يشير إلى شاشة أمامه :
— دكتور (ناظم) .. لقد رصدنا فجأة إشارة غريبة قوية ، ولسنا ندرى سببها أو مصدرها ..
انعقد حاجبا (نور) فجأة ، وهو يخفض بصره إلى الكرتين الأرجوانيتين ، اللتين تألّقتا فجأة بشدة ، ثم صاح وهو يقفز من مقعده :
— ابتعدوا .. ابتعدوا جميعًا بأقصى سرعة .
دفع الدكتور (ناظم) و (أكرم) خارج المكان ، ودفع الباب بقدمه ، و ...
وانفجرت الكرتان ، بكل ما تحويانه من طاقة .

انفجرتا فى آن واحد ..
وكان الانفجار هائلا ..
هائلا بحق ..

* * *

رفع ذلك النحيل سبابته عن زر جهاز التفجير الذى يحمله ، ثم ألقاه فى جيبه بحركة لا مبالية ، واستدار فى هدوء ، وسار بخطوات واسعة ، مبتعدًا عن مبنى الأبحاث ، وراح يقطع شوارع العاصمة فى صمت رهيب ، وعيناه الغائرتان تجوبان ما حوله فى بطء ، وسط الهدوء والسكون ، فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، حتى بلغ منطقة هادئة ، تقف فيها سيارة عادية المظهر ، استقلّها وضغط بعض أزرار لوحة قيادتها ، فانطلقت تعبر الشوارع فى سرعة كبيرة ، راحت تتزايد تدريجيًا ، حتى بلغ أطراف العاصمة ، فتضاعفت السرعة على نحو مخيف ، بحيث بلغت ضعف السرعة القصوى للسيارات الصاروخية المعروفة ، ثم تحوّرت هيئتها فى بطء ، فبرز من جانبيها جناحان كبيران ، وراحت ترتفع عن الأرض كطائرة صغيرة شقّت طريقها فى السماء ، متجهة نحو الغرب ..
نحو تلك البقعة ، فى بحر الرمال الأعظم ..

وفى داخلها ، جلس ذلك النحيل صامتًا صارمًا ، وعيناه الغائرتان تحملان تعبيرًا قاسيًا ظافرًا ..

إنه يعود إلى عالمه ، بعد أن انتهت مهمته ..

صحيح أنه فقد مساعديه الثلاثة ، ولكن المهمة نجحت ..

نجحت تمامًا ..

* * *

مع ذلك القدر الرهيب من الطاقة ، الذى تختزنه الكرتان الأرجوانيتان ، كان من الطبيعى أن يكون الانفجار هائلاً ، هادرًا .

وفى الظروف الطبيعية ، كان هذا الانفجار كفيلاً بنسف مبنى الأبحاث ، التابع لإدارة المخابرات العلمية المصرية ، عن آخره ..

وربما سحق بعض المبانى المجاورة أيضًا ..

ولكن من حسن الحظ أن هذا لم يحدث ..

وهذا يرجع إلى طبيعة الحجرة ، التى كان يجلس فيها (نور) و (أكرم) ، مع الدكتور (ناظم) ، عندما تلقت الكرتان إشارة التفجير ..

كانت حجرة خاصة ، ذات جدران مصنوعة من سبيكة

خاصة ، من التيتانيوم (*) ، والصلب ، والألومنيوم ، تستخدم لاختبار الأسلحة التفجيرية الجديدة ، وقد تم تصميمها لتحتمل انفجار طن كامل من الديناميت (**) دون أن تهتز جدرانها ..

وعندما انتبه (نور) إلى ما أصاب الكرتين ، ودفع (أكرم) والدكتور (ناظم) خارج الحجرة ، ودفع بابها بقدمه ، كان يحاول عزل الانفجار داخل حجرة الاختبارات التفجيرية الخاصة ..

ولقد نجح إلى حد ما ..

ونقول (إلى حد ما) هنا ، لأن الحجرة ، على الرغم من قوتها وصلابتها ، لم تنجح فى احتواء الانفجار الرهيب تمامًا ..

(*) التيتانيوم : عنصر فلزى ، أبيض فضى ، لامع ، رمزه (تى) ، يتواجد بأشابات الفولاذ ، فيزيد من صلادتها وقوة شدها ، وله نشاط كيميائى .. يكوّن عددًا من المركبات ، مثل رابع كلوريد التيتانيوم ، وثانى أكسيد التيتانيوم ، وتصنع منه إليكترودات القوس الكهربى .

(**) الديناميت : متفجّر مصنوع من النيتروجلسرين ومادة مسامية ، وتنطلق شحنته باستخدام مفجّر خاص ، ولقد اكتشفه (ألفريد نوبل) عام ١٨٦٦ م ..

لقد انثنت جدرانها ، والتوت على نحو مخيف ، فى حين طار بابها كقنبلة عنيفة ، وحطم فى طريقه عشرات الأجهزة والمعدات الإليكترونية الحديثة ، مع موجة قوية من التضاغط ، أطاحت بالعاملين هنا وهناك ، ومن بينهم (نور) و (أكرم) ، والدكتور (ناظم) نفسه ..

لقد شعر (نور) بجسده يطير فى عنف ، ويرتطم بالأشياء والجدران ، مع دوىّ رهيب يصمّ أذنيه ، قبل أن يرتطم بالجدار الأخير ، ثم يسقط وسط الحطام والأجساد المنهكة ..

وعلى الرغم من رضوضه وآلامه ، نهض (نور) بسرعة ، وهو يبحث بعينيه عن (أكرم) والدكتور (ناظم) ، ووقع بصره على الأول ، وهو ينهض بدوره من بين الحطام ، هاتفًا :

ـ يا إلهى ! .. ماذا إذن لو حدث الانفجار ونحن داخل الحجرة ؟

هتف به (نور) فى توتر :

ـ أين الدكتور (ناظم) ؟

تلفت (أكرم) حوله ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. لست أدرى .

ثم أشار بيده إلى منطقة تراكم فيها الحطام ، وصاح :

ـ يا إلهى ! .. هاهو ذا .

قالها ، واندفع نحو المنطقة ، فلحق به (نور) ، ورأى الدكتور (ناظم) ملقى على ظهره ، وفوق صدره جزء من آلة رصد ، وهو يلهث فى شدة ، وقد احتقن وجهه على نحو مخيف ..

ودون تبادل كلمة واحدة ، أسرع (نور) و (أكرم) يتعاونان لرفع الآلة عن صدر الدكتور (ناظم) ، الذى جحظت عيناه ، وراح يلتقط أنفاسه فى صعوبة ، فهتف (نور) ، وهو يفحصه بسرعة :

ـ إنه مصاب بكسر فى ثلاثة من ضلوعه .. أسرعوا فى طلب الإسعاف .. أسرعوا بالله عليكم .

كان رجال الإسعاف قد وصلوا بالفعل ، مع استجابتهم للنداء الآلى ، الذى انطلق فور حدوث الانفجار ، فأسرعوا يحملون الدكتور (ناظم) ، وينقلونه إلى قسم الحوادث الطارئة ، فى حين أدار (أكرم) عينيه فيما حوله ، وغمغم فى حنق :

ـ ياله من تدمير !

تنهّد (نور) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فشاركه (أكرم) بزفرة طويلة ، مغمغمًا :

ـ يبدو أنه لا مفر من الاعتراف يا (نور) .

استدار إليه (نور) بعينين متسائلتين ، فأضاف فى سخط مرير :

ـ لقد فشلنا هذه المرة .

وانتفض جسد (نور) فى عنف ..

لقد كانت العبارة قاسية ..

قاسية للغاية ..

* * *

« لا داعى لكل هذا الحزن .. » .

نطقت (سلوى) العبارة فى حنان مشفق ، وهى ترقد إلى جوار (نور) فى منزلهما ، ومرّرت أصابعها على خصلات شعره المتناثرة فى رفق ، مستطردة :

ـ لقد بذلت قصارى جهدك ، ولم تتوقّف عن العمل لحظة واحدة ، منذ أسندت إليك المهمة ، وقاتلت أنت و (أكرم) بكل طاقتكما ، ولا أحد يملك النجاح والفشل بعد هذا .. إنه أمر بيد الله (سبحانه وتعالى) وحده .

تنهّد (نور) ، وهو يقول :

ـ ما أشعر به ليس الحزن يا (سلوى) .. إنه الأسف .. الأسف على أننى أقف عاجزًا ، أمام عدو

خفى ، يشيع الدمار فى كل ما يقترب منه ، وأمام لغز غامض عجيب ، كلما أمسكت أحد خيوطه ، اشتعلت فيه النيران ، وفقدته بأسرع مما حصلت عليه ، ونفسى تمتلئ بالقلق والخوف ، مما يمكن أن يحمله هذا للأرض من خطر ..

ربتت (سلوى) عليه فى حنان ، وهى تقول :

ـ ربما لم تفقد كل الخيوط بعد .

قال فى أسف :

ـ كنت أتمنى هذا ، ولكن كل شىء ينتهى إلى فراغ .. لقد حاول رجال المعمل الجنائى جمع شتات أبحاث الدكتور (حسن) ، التى سحقتها الصواعق ، ولكنها كانت مدمّرة وإلى حدّ مخيف ، وقد احترق معظمها ، وتناثر رماده فى المكان كله ، وبذلت أنا و (أكرم) كل جهدنا ، للعثور على بعض المعلومات عن أبحاث الدكتور (حسن) أو الدكتور (مراد) ، فى مركز المعلومات الرئيسى ، ولكن كل شىء تم محوه تمامًا ، كما سرقت كل نسخ (الميكروفيلم) ، التى تشير إلى الموضوع .. باختصار ، لقد انمحى التاريخ العلمى للدكتور (حسن صابر) تمامًا ..

هزّت رأسها ، قائلة :

— ياللعجب ! .. كنت أتصور أن هذا لايمكن أن يحدث أبدا .. على الأقل فى عصرنا هذا .

التفت إليها ، يسألها :

— ماذا تعنين ؟

جاء دورها لتتنهد ، وهى تجيب :

— المفروض أن التاريخ العلمى لأى شخص ، هو ملكية عامة للعالم أجمع .. إنه خلاصة عمله وعقله وأبحاثه ، التى يحتل بها مكانته فى سلم التطور ، ويضيف بها الجديد إلى العقول والأذهان ، و ..

برقت عينا (نور) بغتة ، على نحو جعلها تبتر عبارتها ، وتقول فى انفعال :

— (نور) .. هذا البريق ..

اعتدل فى حماس ، ليطبع قبلة فرحة على وجنتها ، قبل أن يهتف :

— نعم يا عزيزى .. إنه هذا البريق .. لقد ساعدتنى كثيرا .. كثيرا جدًا .

ثم قفز من الفراش ، وراح يرتدى ثيابه على عجل ، وهى تهتف :

— ماذا هناك يا (نور) ؟.. ما الذى توصلت إليه ؟

أجابها بابتسامة ارتياح :

— الحقيقة يا عزيزتى .. حقيقة أن العلم يضيف الكثير إلى العقول والأذهان .

تضاعفت حيرتها ، وهى تسأله :

— وما الذى يعنيه هذا ؟

أشار بسبابته ، قائلاً :

— الكثير يا عزيزتى .. الكثير .. اتصلى بـ (أكرم) ، واطلبى منه أن يلحق بى فى مكتبة الجامعة .

هتفت :

— الآن ؟! .. إنها السابعة صباحًا ، ولن تجد المشرفة هناك قبل الثامنة والنصف .

مط شفتيه ، وهز رأسه ، ثم ابتسم ، قائلاً :

— يا للأسف !! . سنضطر إلى إيقاظها إذن .

ثم انطلق يغادر المكان ، وقد استعاد شيئا بالغ الأهمية ..

الأمل ..

* * *

عدلت مشرفة المكتبة الجامعية منظارها الطبى فوق عينيها ، ومطت شفتيها فى أسف ، وهى تدير عينيها فى المكان كله ، قبل أن تهز رأسها ، قائلة فى أسى :

— دمار شامل .. يالها من خسارة فادحة للعلم

والثقافة ! .. كل هذه المراجع والأبحاث تم تدميرها بهذا العنف :

أجابها (نور) فى هدوء :

ـ العلم لا يضيع بتدمير مراجعه وأبحاثه يا سيدتى ، فهو آمن دومًا فى أماكن أشد قوة ، وأدق ملاحظة .

سألته فى اهتمام :

ـ أتقصد أجهزة الكمبيوتر و (الميكروفيلم) ؟

هزّ رأسه نفيًا ، قبل أن يشير إلى رأسه قائلا :

ـ بل فى الرءوس .

تطلّع إليه (أكرم) والمشرفة فى تساؤل ، فأضاف موضحًا :

ـ هذه الأبحاث لم تكتب لتوضع على الأرفف ، بل ليستعين بها الدارسون والدارسات ، ويستفيدون بكل ما جاء بها ، وهذا يعنى أن عقولهم ستحتفظ بالكثير منها ، وبعضهم سيحتفظ بنسخ كامله لها .

فهم (أكرم) الموقف على الفور ، فهتف فى حماس :

ـ رباه ! .. كيف لم أفكر فى هذا ؟

أما المشرفة ، فقد عقدت حاجبيها ، قائلة :

ـ أهذا ما أيقظتنى من أجله ، فى السابعة والنصف صباحًا ؟

أجابها بسرعة :

ـ بالضبط . أريد منك أن تراجعى سجلاتك ، وتخبرينى باسم كل الباحثين ، الذين استعانوا بأبحاث الدكتور (حسن صابر) ، فى العامين السابقين .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ ليس هذا بالأمر العسير .

ثم اتجهت إلى جهاز الكمبيوتر ، وراحت تضغط أزراره ، وتتابع بياناته فى اهتمام ، فهمس (أكرم) :

ـ هل تعتقد أن مثلها يمكن أن يفيدنا ؟! .. إنها تبدو لى عتيقة الطراز .. حتى منظارها هذا .. لماذا لا تستخدم عدسات لاصقة ، مثلما تفعل كل النساء الآن ؟!

قال (نور) فى صرامة :

ـ هذا شأنها .

هزّ (أكرم) كتفيه ، وكأنما لا يعنيه الأمر ، ثم سأل (نور) فى اهتمام :

ـ قل لى يا (نور) : لماذا يحدث كل هذا الآن ؟

التفت إليه (نور) ، وسأله فى حيرة :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه (أكرم) :

ـ أعنى أن الدكتور (حسن) كتب آخر أبحاثه منذ

ما يقرب من عامين كاملين ، ثم اختفى طوال هذه الفترة ، فلماذا لم يتم تدمير أبحاثه ، وكل ما يمت له بصلة ، إلا بعد عودته ؟

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ربما لأن ما كتبه لم يكن يمثِّل خطورة ، إلى بعد أن حصل على معلومات هامة ، من المكان الذى اختفى فيه .. معلومات يمكن أن تسد كل ثغرات البحث ، وتجعله وثيقة بالغة الأهمية ، بالنسبة لمن يحاولون محو الأمر من الوجود .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى التفتت إليه المشرفة ، قائلة :

ـ الأمر ليس عسيرًا ، فلم يستعن بأبحاث الدكتور (حسن) ، فى العامين السابقين ، سوى عشرة من الباحثين .

سألها فى اهتمام :

ـ عظيم .. من منهم استعان بالبحث الذى يحمل عنوان (الأرض المفقودة) ؟

انعقد حاجباها ، وعدلت وضع منظارها الطبى على عينيها مرة أخرى ، قبل أن تجيب :

ـ لا أحد منهم .

هتف (أكرم) فى دهشة :

ـ لا أحد ؟!

وسألها (نور) فى توتر :

ـ ماذا تعنين ؟.. ألم يثر هذا البحث اهتمام شخص واحد طوال عامين كاملين ؟

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ بالطبع .. والسبب بسيط للغاية ، فالدكتور (حسن) لم يقدم بحثًا يحمل عنوان (الأرض المفقودة) قط .

بدا الغضب على وجه (أكرم) ، وكاد يصرخ فى وجهها ، متهمًا إياها بالجهل ، عندما ارتفع من خلفهم صوت أنثوى يقول فى حياء :

ـ ولكننى قرأته .

استدار الجميع يتطلعون إلى صاحبة الصوت فى دهشة ، فارتبكت وهى تحمل حقيبتها ، وتمتمت :

ـ معذرة .. هل وصلت فى وقت مبكر ؟

سألها (نور) فى لهفة :

ـ هل قرأت بحث الدكتور (حسن صابر) ، الذى يحمل عنوان (الأرض المفقودة) ؟

ازدردت لعابها فى اضطراب ، قبل أن تجيب :

ـ لقد قرأت بحثًا بهذا العنوان ، ولكنه ليس للدكتور (حسن) ، وإنما للدكتور (مراد حنا) .

التقى حاجبا (أكرم) فى شدة ، عندما سمع الجواب ، فى حين ارتدّ (نور) فى عنف ، وكأنما تلقى صفعة قوية ..

كيف لم ينتبه إلى هذا الأمر ، على الرغم من وضوحه الشديد ؟! ..

الدكتور (مراد) نفسه اعترف بهذا ..

اعتراف بالاستيلاء على البحث ، ونسبته إلى نفسه ..

يا للهول ! .. أمن الممكن أن يكون التوتر قد أعماه إلى هذا الحد ؟!..

وفى انفعال ، سأل الفتاة :

ـ هل تذكرين فيم يتحدّث ذلك البحث ؟

أربكها اندفاعه ، وهى تجيب :

ـ بالطبع .. لقد استعنت به فى بحثى حول الحضارات المفقودة ، ولكنه فُقِد الآن ، واحترق مع تدمير المكتبة .

جذبها (نور) من يدها فى رفق ، وهو يقول :

ـ أعتقد أننا نحتاج إلى حديث طويل معًا ..

بدا مزيج من القلق والخوف على الفتاة ، وهى تنقل

بصرها بين (نور) و (أكرم) ، وتغمغم :

ـ من أنتما ؟ .. وما أهمية ذلك البحث ؟

جلسا معها حول مائدة من الموائد المتبقية بالمكتبة و (نور) يسألها :

ـ إننا ندرس الأمر .. هل يمكنك إخبارنا بملخّص البحث ؟

نقلت بصرها بينهما مرة أخرى ، ثم التقطت نفسًا عميقًا ، وقالت :

ـ حسن .. لقد وضع الدكتور (مراد) نظرية جديدة ، تقول : إن الناجين من قارة (أطلانتس) الغارقة قد انتقلوا إلى غرب (إفريقيا) ، ثم دبّ الخلاف بينهم ، حول المنطقة التى تصلح لاستقرارهم ، بعد أن زالت حضارتهم ، وأصبح من المحتم عليهم أن يتعايشوا مع مجتمعات أخرى ، تقلّ درجة حضارتها كثيرًا عنهم ، ومع اختلافهم انقسموا إلى قسمين .. (أطلا) ، وهم فئة الفلاسفة والمفكرين ، وقد عبروا ما يعرف الآن باسم (مضيق جبل طارق) ، وتنقّلوا عبر (أوروبا) ، حتى استقرّوا فى (ألمانيا) ، وامتزجوا بعلمائها ومفكريها ، ثم لم تلبث آثارهم أن انمحت مع مرور الوقت .. أما القسم الآخر ، والذى اختار لنفسه اسم

(لانتس) ، فهو فئة الفرسان والمحاربين ، الذين اتخذوا طريقهم شرقًا ، عبر (المغرب) ، و (الجزائر) ، و (تونس) ، و (ليبيا) ، حتى وصلوا إلى صحراء (مصر) الغربية ، وهنا انقطعت آثارهم تمامًا ، ولم تعد هناك وثائق أو أدلة تشير إلى وجودهم .. باختصار .. لقد اختفوا من نهر التاريخ بغتة ، دون أن يتركوا خلفهم أثرًا أو حتى بقايا حضارة ، مما حدا بالبعض إلى افتراض أنهم غرقوا جميعًا فى بحر من الرمال المتحركة ، فى قلب الصحراء .

سألها (نور) :

— وماذا كان رأى الدكتور (حسن) ؟ .. أعنى الدكتور (مراد) .

أجابته فى حماس :

— لقد تبنى نظرية تقول : إن شعب (لانتس) لم يختف ، وإنما استخدم بقايا علوم (أطلانتس) ، ليصنع لنفسه حضارة جديدة ، فى أرض جديدة ، تقع فى بعد آخر ، ولا يمكن الوصول إليها إلا عبر بوابة (طاقة خاصة) ، فى مكان ما من منطقة (بحر الرمال الأعظم) ، فى الصحراء الغربية .

قال (أكرم) فى دهشة :

— يالها من نظرية عجيبة !.. وهل يمكن أن يصدقها مخلوق واحد ؟

لوحت بيدها ، قائلة :

— إنها لم تأت من فراغ ، فلقد عثر الأثريون ، مع بداية القرن الحادى والعشرين ، على وثائق قديمة ، تتحدث عن الأرض المفقودة ، وحضارة (لانتس) ، التى تختفى خلف البوابة العجيبة ، ومن هذه الوثائق وضع الدكتور (مراد) نظريته .

سألها (نور) :

— ألم تحمل تلك الوثائق أية تفاصيل أخرى ، بخصوص هذا الأمر ؟

لوحت بسبابتها نفيًا ، ثم استدركت بسرعة :

— آه .. هناك تفصيل واحد ، ولكننى لست أظنه بهذه الأهمية ..

سألها (أكرم) فى سرعة :

— وما هو ؟!

ترددت لحظة ، قبل أن تهز كتفيها قائلة :

— إنه مجرد رقم ، لم أجد له أى معنى .

وأشارت بسبابتها ، مستطردة :

— رقم سبعة وعشرين :

وكانت هذه مفاجأة جديدة .. وخطيرة ..

* * *

٦ ـ الرقم المجهول ..

« ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟! .. » ..

تمتم (نور) بالعبارة ، وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر ، فى مبنى المخابرات العلمية ، قبل أن يتنهد فى إرهاق ، ويتثاءب فى تعب واضح ، فالتفت إليه (أكرم) ، وقال وهو يسبل جفنيه مرهقًا :

ـ ألم تعثر على تفسير لذلك الرقم بعد ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ مطلقًا .. لقد ردده الدكتور (حسن) ثلاث مرات ، قبل أن ينهار ، وهذا يعنى أن له أهمية كبرى ، لحل لغز هذا الغموض ، المحيط بتلك الأرض المفقودة ، ولكن الكمبيوتر لم يجد له أية صلة بقارة (أطلانتس) .. إنه لا يرتبط بالتاريخ المفترض لوجودها ، ولا لفنائها ، وتحليله لا يشير إلى أية بيانات جديدة ، ولم أجد صلة بينه وبين الملفات الأساسية ، أو ترتيب الأبحاث فى الجامعة أو حتى بأى كود سرى للملفات الإضافية ، أو ذات السمات الخاصة .

قال (أكرم) ، وهو يحاول الاسترخاء فى مقعده :

ـ ربما يشير إلى حرف ما مثلاً .. أعتقد أن حرف الواو هو المقابل للرقم سبعة وعشرين ، فى ترتيب الحروف الأبجدية .

قال (نور) :

ـ لقد حاولت هذا ، ولم يعن شيئًا .

ثم تراجع فى مقعده ، وعاد يتثاءب ، قبل أن يضيف :

ـ المشكلة فى أنه رقم واحد .. مجرّد رقم .. لو أنه يتكوّن من عدة أرقام ، فربما افترضنا أنه تاريخ ، أو إحداثيات خريطة ، أو ...

انعقد حاجباه فجأة فى شدة ، واعتدل فى حماس ، وهو يقول :

ـ نعم .. ولِمَ لا ؟

بثّ الموقف شيئًا من النشاط فى جسد (أكرم) ، الذى اعتدل بدوره ، قائلاً :

ـ هل برزت فى رأسك فكرة ما ؟

أجابه (نور) ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة :

ـ نعم .. إنه سؤال هام .. ماذا لو أن الدكتور (حسن) لم يكن يكرّر الرقم ، عندما نطقه ثلاث مرات ؟.. ماذا لو أنه يقصد هذا التكرار بالفعل ؟



انعقد حاجباه فجأة فى شدة ، واعتدل فى حماس ، وهو يقول :

ـ نعم .. ولِمَ لا ..

سأله (أكرم) فى اهتمام :

ـ وما الذى يصنعه هذا الفارق ؟.. إحداثيات الخرائط كلها من رقمين ، وليس من ثلاثة !

أجابه (نور) فى انفعال :

خطأ يا صديقى .. الأرقام الثابتة يمكن استخدامها فى الخرائط البسيطة فحسب ، أما الخبراء والمختصون ، فإحداثيات الطول أو العرض لديهم ترتبط برقم ثلاثى ، فكل خط طول أو عرض ، تحيط به أرقام فرعية ، وكل زاوية يضاف إليها عدد الدقائق والثوانى .. ثم إن الدكتور (حسن) طلب منا أن نتتبع الرقم سبعة وعشرين .. وهذا يعنى أن نسعى وراء الرقم ، مهما بلغت تكراراته .

بدت الحيرة على وجه (أكرم) ، وهو يقترب من شاشة الكمبيوتر ، ويسأل :

ـ هل تعتقد أنه من الممكن أن يقودنا هذا إلى شىء ؟

ارتسمت على الشاشة خريطة لـ (مصر) ، وانطلق فوقها خط رأسى ، يحمل زاوية خط الطول سبعًا وعشرين درجة ، مضافًا إليه سبع وعشرون دقيقة ، وسبع وعشرون ثانية ، ثم التقى به خط عرضى ، يحمل الأرقام الثلاثة نفسها ، والتقى الخطان عند نقطة بعينها ، فهتف (أكرم) :

ــ رائع .. أنت عبقرى يا (نور) .. عبقرى بحق .

كان الخطان قد التقيا عند نفس النقطة ، التى تم العثور فيها على الدكتور (حسن) ..

عند بحر الرمال الأعظم ، فى صحراء (مصر) الغربية .

ولكن حماس (أكرم) خبا فجأة ، وهو يستطرد :

ــ ولكن فيم يمكن أن يفيدنا هذا يا (نور) ؟! .. إنها البقعة التى عثروا فيها على الدكتور (حسن) ، والتى فحصوها جيدًا ، ولم يعثروا فيها على شىء .

أشار (نور) إلى شاشة الكمبيوتر ، وهو يجيب :

ــ بل هذه الإحداثيات أكثر دقة يا (أكرم) .. إنها تحدد نقطة بعينها ، فى تلك المنطقة الشاسعة .. نقطة يلتقى فيها خط الطول (٢٧ ° ٢٧ ' ٢٧ ") ، شرق خط (جرينتش) (*) وخط العرض (٢٧ ° ٢٧ ' ٢٧ ") شمال خط الاستواء (**) ، ولو اتبعنا ما يشير به العقل ، لكانت هذه هى النقطة ، التى تقع فيها البوّابة .

(*) خط (جرينتش) : هو خط الطول الرئيسى ، الذى يبدأ عنه قياس خطوط الطول ، وهو يمر بمرصد (جرينتش) فى (لندن) ولقد اتخذ قياسًا عام ١٨٨٤ ، لأسباب ملاحية وحسابية .

(**) خط الاستواء : هو أساس قياسات خطوط العرض ، شماله أو جنوبه ، وتعتمد القياسات على تعامد الشمس عليه فى وقت الظهيرة ، ويمكن تحديده باستخدام آلة السدس ، أو بالملاحظة الآلية للنجم القطبى .

وانتشى صوته برنّة عجيبة ، مع استطرادته :

ــ بوّابة الأرض المفقودة .

وتألقت عيناه فى ارتياح ..

وفى ظفر ..

* * *

راجع القائد الأعلى النتائج ، التى توصّل إليها (نور) ، فى اهتمام بالغ ، وأشار إلى الخريطة بسبّابته ، قائلاً :

ــ نظرية مدهشة يا (نور) ، ولو صحّت ، نكون قد وضعنا يدنا على واحد من أعظم ألغاز الأرض .

قال (نور) فى اهتمام :

ــ هذا ما أتيت من أجله يا سيّدى .. أن نسعى لإثبات صحة هذه النظرية .

صمت القائد الأعلى مفكرًا ، قبل أن يقول :

ــ يمكننا أن نرسل فرقة من فرق القوات الخاصة ، لتفقّد المنطقة ، والبحث عن تلك البوّابة العجيبة ..

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ــ معذرة يا سيّدى ، ولكننى أخشى أن يؤدى هذا إلى إثارة قوم (لانتس) هذه ، لو أن لها وجودًا فعليًا .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، ولكن (نور) واصل حديثه فى هدوء :

ــ لقد رأينا نموذجا لأسلحتهم ، يتمثّل فى تلك الكرة الأرجوانية ، المشحونة بطاقة هائلة ، على الرغم من صغر حجمها ، ورأينا كيف تؤدى طلقاتها ، أو صواعقها ، إلى دمار رهيب ، لا عهد لنا به ، وإننى لأتساءل : لو أن هذا ما تفعله أسلحة صغيرة ، خرجت بها فرقة بسيطة منهم ، لتحقيق هدف محدود ، فماذا عن تأثير أسلحتهم الثقيلة ، لو قرّروا الدخول فى حرب طاحنة معنا ؟!

رفع القائد الأعلى عينيه إليه فى توتر ، وهو يقول :

ــ يرجفنى مجرّد التفكير فى هذا الاحتمال يا (نور) .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأطلقه من صدره فى بطء ، قبل أن يستطرد :

ــ إننا سنفترض وجود هؤلاء القوم بالفعل ، خلف تلك البوّابة ، وأنا مقتنع تمامًا بأن تحديهم على نحو سافر ، ينطوى على خطورة بالغة ، وإن كنت أتساءل : لماذا ظلوا صامتين ، طوال هذه القرون العديدة ، منذ زمن (أطلانتس) ، وحتى أيامنا هذه ؟.. ولكننى سأطرح

تساؤلا واحدا .. ما الخطوة التالية فى رأيك ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

ــ محاولة الوصول إليهم .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يسأل :

ــ وكيف السبيل إلى هذا ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ــ سأذهب أنا و (أكرم) إليهم .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ــ هذا ما توقّعته .

ثم سأل فى اهتمام :

ــ وهل سيصحبك (أكرم) بإرادته ؟

ابتسم (نور) ، وهو يجيب :

ــ مامن قوة فى الأرض ، يمكنها إجبار (أكرم) على فعل أمر يرفضه ..

تطلّع إليه القائد الأعلى فى صمت لحظة ، ثم سأله :

ــ هل تجد صعوبة فى التعامل معه ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال ، دون أن تفارقه ابتسامته :

ــ إلى حد ما ، ولكن هذا لا يمنع كونه واحدًا من أفضل الرجال ، الذين تعاملت معهم فى حياتى كلها ! فهو قوى ، شجاع ، مخلص ، ولا يحيد عن الحق أبدًا ..

غمغم القائد الأعلى :

ـ عظيم .. ربما كان هذا سر نجاحكما فى العمل معًا .. إنكما تتشابهان فى نقاط كثيرة ، على الرغم من خلافاتكما الواضحة .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكن دعنا من هذا الآن ، وأخبرنى .. متى تبدأ رحلتكما إلى بحر الرمال الأعظم ؟ وأية وسيلة ستستخدمان ، للذهاب إلى هناك ؟. هل تستعينان بجوّامة حربية ؟.

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ربما فى بداية الطريق فحسب ، ولكننى أفضّل أن نصل إلى تلك البوّابة بوسيلة أكثر بساطة .

سأله القائد الأعلى فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ سيرًا على الأقدام .

وكانت مفاجأة للقائد الأعلى ..

مفاجأة كبرى ..

* * *

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يجلس داخل الجوّامة ، التى تنقله مع (نور) إلى بحر الرمال الأعظم ، فى الصحراء الغربية ، وغمغم فى سخط :

ـ يا للسخافة !

التفت إليه (نور) ، يسأل مبتسمًا :

ـ ماذا يحنقك ؟

هتف (أكرم) فى حدة ، وهو يلوّح بذراعه كلها :

ـ لست أجد مبرّرًا واحدًا لما تفعله بنا ! .. لماذا تصرّ على أن نقفز من الجوّامة وسط الصحراء ، على مسافة أربعة كيلو مترات من الموقع ، ثم نواصل السير على أقدامنا ، فوق رمال الصحراء الملتهبة ؟! .. ألم يكن من الأيسر أن نهبط عند الموقع نفسه ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ خطأ .. لو أنك لاحظت مدى التقدّم العلمى ، الذى بلغه هؤلاء القوم ، لأدركت أنه من السخافة أن نتصوّر أنهم لا يراقبون العالم الخارجى طوال الوقت بوسيلة ما ، لتأمين عالمهم على الأقل ، ولو أن هذا صحيح ، فسيرصدون وصولنا بجوّامة عسكرية ، وسيثير هذا فى نفوسهم الغضب والحذر ، وربما دفعهم إلى التعامل معنا

من منطلق عدوانى عنيف ، أو المبادرة بسحقنا والقضاء علينا ، قبل أن نسبب لهم الكثير من المشكلات أو المصاعب .

قال (أكرم) فى عصبية :

– وهل تظنهم من الغباء والحماقة ، بحيث يتصورون أننا جئناهم مصادفة ؟

قال (نور) :

– ومن قال : إننا سنحاول خداعهم بهذه السذاجة ؟!

قال فى هدة :

– ماذا ستخبرهم إذن ؟.. كيف ستبرر لهم بحثنا عنهم ؟

هز (نور) كتفيه ، وهو يجيب فى بساطة :

– دع هذا لوقته .

هتف (أكرم) :

– ماذا ؟! .. أتعنى أنه ليست لديك خطة محدودة !

ابتسم (نور) ، قائلا :

– لا تقلق يا صديقى .. لا تقلق .

صاح (أكرم) فى غضب :

– أنت تخفى عنى شيئا .. أراهن على أنك تخفى عنى شيئا .. لقد سئمت هذا الأسلوب ، الذى يضعنى

دائما فى الدرجة الثانية .. المفروض أننى ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع فجأة صوت الطيار الآلى ، قائلا :

– وصلنا إلى نقطة الهبوط .. درجة الاستعداد القصوى .. بدأ العد التنازلى .. عشرة .. تسعة ..

نهض (نور) على الفور ، وعدل وضع المظلة الواقية على ظهره ، قائلا :

– حسن يا (أكرم) .. سنناقش هذه الأمور فيما بعد .. لقد وصلنا منطقة القفز .. هيا بنا .

نهض (أكرم) ، وهو يتمتم فى سخط ، والطيار الآلى يواصل :

– أربعة .. ثلاثة .. اثنان .. واحد .. اقفز .

ومع آخر حروف كلماته ، وثب (نور) و (أكرم) ..

لم يترددا لحظة واحدة ، كما يفعل أى انتحارى محترف ، وتركا جسديهما يسبحان لحظات فى الهواء ، ثم فتح كل منهما مظلته ، وراحا يهبطان فى بطء .. فى قلب الصحراء الغربية ..

لم يكن الهبوط عسيرا ، لانخفاض سرعة الرياح ، فى ذلك اليوم ، فتحكم (نور) فى اتجاه مظلته جيدا ، وثنى ركبتيه قليلا ، وهو يهبط نحو الرمال ، التى بلغها

فى دقيقة واحدة أو أقل ، ولم يكد يلمسها بقدميه ، حتى فرد جسده ، واستقرّ به جيدًا ، ثم بدأ يطوى مظلته ، ويعيدها إلى حقيبتها خلف ظهره ، و ..

« (نور) .. أعتقد أننى بحاجة إليك .. » .

نطقها (أكرم) فى عصبية شديدة ، على بعد مائة متر تقريبًا من (نور) الذى التفتَ إليه فى سرعة ، ثم التقى حاجباه فى توتر لا حدود له ..

لقد رأى (أكرم) يغوص وسط الرمال ..

الرمال المتحركة ..

* * *

شهقت (مشيرة) فجأة ، وهى تعتدل فى مقعدها ، وتضع يدها على صدرها ، ثم تلهث فى عنف ، وكأنما عدت لمسافة كبيرة ، فسألتها (سلوى) فى قلق :

ـ ماذا أصابك ؟

هزّت (مشيرة) رأسها نفيًا ، وتمتمت فى خفوت ، وبصوت لم يفارقه اللهاث بعد :

ـ لست أدرى .. أشعر بانقباض شديد .

اقتربت منها (سلوى) ، وأحاطت كتفها بذراعها فى حنان ، وهى تسألها :

ـ أمازلت تشعرين بالقلق، منذ رحيل (نور) و (أكرم) ؟!

رفعت (مشيرة) عينيها إليها ، وسألتها :

ـ ألا تشعرين به أنت ؟

تنهّدت (سلوى) ، قبل أن تقول :

ـ لقد اعتدته ..

هزّت (مشيرة) رأسها فى أسى ، وهى تغمغم :

ـ أما أنا ، فلم أنجح فى اعتياده قط .

تنهّدت (سلوى) مرة أخرى ، وهى تنهض قائلة :

ـ امنحيه بعض الوقت .

رمقتها (مشيرة) بنظرة طويلة ، قبل أن تقول :

ـ (سلوى) .. أين (أكرم) و (نور) ؟

استدارت إليها (سلوى) فى صمت ، وتطلّعت إليها لحظات ، قبل ان تجيب :

ـ لست أدرى .

بدا الغضب على وجه (مشيرة) ، وهى تهتف :

ـ كاذبة .

ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، وهى تقول :

ـ ماذا ؟!

ضربت (مشيرة) مسند مقعدها بقبضتها ، وهى تقول فى حدة :

ـ أقول : إنك كاذبة .. أنت تعرفين أين (أكرم) و (نور) .. اراهن على أنك تعرفين .

عقدت (سلوى) ساعديها أمام صدرها ، وهى تقول فى صرامة :

ـ اتهامك لى بالكذب أمر سخيف يا (مشيرة) ، وأسلوبك فج للغاية هذه المرة ، فحتى لو كنت أعرف أين هما ، فلن يمكننى إبلاغك قط .

هتفت فى حنق :

ـ لماذا ؟.. لماذا أنا بالذات ؟

صاحت بها (سلوى) :

ـ أنت ، أو أى شخص آخر .. إنها أسرار دولة .. ألا يمكنك فهم هذا واستيعابه ؟.. كيف تستحقين منصبك إذن ، لو أنك لا تستطيعين فهم هذا ؟

حدقت (مشيرة) فى وجهها لحظات ، ثم ارتجفت شفتاها ، قبل أن تنفجر باكية ، وتخفى وجهها براحتيها ، قائلة :

ـ سامحينى يا (سلوى) .. سامحينى .. لن يمكنك تصور ما أعانيه قط .. أكاد أموت هلعًا كل ليلة ، وأنا أتصور أنه من الممكن أن أفقد (أكرم) فجأة ، فى واحدة من تلك العمليات العنيفة .. إن صورة (محمود) ، وهو يلقى مصرعه فى نهر الزمن ، ويضيع منا إلى الأبد ، لا تفارق ذهنى قط (*) ، وأتصور أحيانًا أن (أكرم) سيلقى المصير نفسه .

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

زفرت (سلوى) ، مغمغمة :

ـ لست وحدك .

ثم استطردت مشفقة :

ـ ولكننى أجهل حقًا أين (نور) و (أكرم) .

رفعت إليها (مشيرة) عينين مغرورقتين بالدموع ، وهى تقول :

ـ ولكن (أكرم) أخبرنى أن (نور) اتصل بك هاتفيًا ، وطلب منك معاونته فى أمر ما .

صمتت (سلوى) لحظات ، قبل أن تجيب فى حذر :

ـ هذا صحيح .. لقد استعان (نور) بخبرتى فى أمر ما ، ولكن هذا لا يعنى أننى أعرف أين هما .

وانعقد حاجباها ، قبل أن تضيف :

ـ كل ما أعلمه هو أنهما سيكونان وحدهما .. وحدهما تمامًا .

قالتها ، وصوتها يعكس كل ما يعتمل فى نفسها من قلق ..

ومن خوف ..

* * *

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، عندما رأى زميله يغوص فى الرمال المتحركة ، وأشار إليه بيده ، وهو يهتف :

ـ لا تتحـرّك .. لا تتحرّك يا (أكرم) .. أيـة حركـة ستجعلك تغوص أكثر وأكثر فى تلك الرمال .

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ من السهل طـاعتك يـا صديقـى ، فـلا يوجـد مكـان يمكننـى الذهـاب إليـه ، وقدمـاى مغلولتـــان وسـط تلـك الرمال السخيفة .

تحرك (نـور) نحوه فـى حذر ، وهـو يلتقط حبـل المظلة الطويل ، قائلاً :

ـ لا تقلق يا (أكـرم) .. هذه الرمـال المتحـرّكة ، على الرغم من خطورتها ، تشبه بحيرة كثيفـة ، مـن السهل التخلص منها ، لو تعامل معها المـرء بالأسلوب المناسب .

سأله (أكرم) ، وهو يغوص أكثر وأكثر فى الرمال :

ـ وما هذا الأسلوب المناسب ؟

ألقى إليه (نور) حبل المظلة ، قائلاً :

ـ التقط هذا .

وثبت يد (أكرم) ، تلتقط الحبل فى الهواء ، وتتشبث به فى قوة ، و (نور) يقول فى توتر :

ـ اربطـه حـول وسطك يـا (أكـرم) ، ثم حـاول أن تستلقى على ظهرك ، وتترك جسدك يسترخى تماماً ..

ربط (أكرم) الحبـل حـول وسطه ، وهو يقول فى عصبية :

ـ وماذا لو غصت فى أعماق الرمال ؟

أجابه (نور) :

ـ لن يحدث هذا .. اطمئـن .. عندمـا تستلقى فـوق الرمال المتحرّكة ، يتوزّع الضغط على جسدك كله ، وبذلك تنخفض قوة الجذب له ويصبح الغوص أكثر صعوبـة . إنها نفس النظرية ، التى يتمكن بوساطتها فقراء الهنود ، من النوم فوق فراش المسامير الحادة (*) .

بذل (أكرم) قصارى جهده ، للسيطرة على توتره ، وهو يرقد بظهره على الرمال المتحرّكة ، قائلاً :

ـ أتعشّم أن تكون على حق هذه المرة .

راح (نور) يجذبه فى رفق ، وهو يقول :

ـ استرخ .. استرخ تماماً يا صديقـى .. لا تقاوم .. لا تحـاول حتـى مساعدتى .. اترك جسـدك يسبح فـى هدوء فوق الرمال ، وسأجذبك خارجها .

أغلق (أكرم) عينيه ، محاولاً التغلّب على عصبيته ، و (نــور) يواصـل جذبه فى رفق ، حتى بلغ به حافة

(*) حقيقة علمية .

الرمال المتحركة ، فجذبه خارجها بجذبة قوية ، وأطلق زفرة كبيرة ، هاتفا :

ــ حمدًا لله .

قفز (أكرم) إلى الرمال الجافة ، وهو يهتف :

ــ أخيرًا .. يالها من بداية .

ثم تحسّس ظهره بغتة ، هاتفا في انزعاج :

ــ ربّاه ! .. هذا ما كان ينقصنا .

سأله (نور) متوترًا ..

ــ ماذا حدث ؟

أجابه (أكرم) فى سخط :

ــ فقدت حقيبتى ، وسط تلك الرمال المتحرّكة اللعينة ، وبداخلها البوصلة وجهاز الاتصال اللاسلكى .. لقد فقدنا القدرة على الاتصال بالقيادة يا (نور) :

انعقد حاجبا (نور) فى توتر بالغ ، وقلبه يخفق فى عنف .

فضياع جهاز الاتصال اللاسلكى ، لا يعنى أنهما فقدا وسيلة الاتصال بالقيادة فحسب ، وإنما يعنى أيضا أنهما أصبحا وحيدين بالفعل ..

وحيدين فى قلب الصحراء ..

وفى قلب الخطر .

* * *

٧ ــ العاصفة ..

التقط الدكتور (ناظم) أنفاسه فى صعوبة ، وهو يرقد على فراش المرض ، وصدره محاط بضمادات كبيرة ، وسأل القائد الأعلى فى اهتمام :

ــ هل وصلا إلى هدفهما بنجاح ؟

صمت القائد الأعلى لحظات ، قبل أن يجيب :

ــ يفترض هذا ؟

تطلّع إليه الدكتور (ناظم) في دهشة ، وسأله :

ــ ماذا تعنى بهذا الجواب ؟! .. ألم يتأكّد وصولهما بعد ؟

هزّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ــ كلاّ .. كان المفروض أن نتلقّى منهما إشارة خاصة ، تفيد هبوطهما فى الموقع المحدود ، إلا أن هذا لم يحدث ، ولسنا ندرى السبب فى عدم حدوثه .

قال الدكتور (ناظم) فى قلق :

ــ يمكننا أن نرسل خلفهما طائرة استكشاف .

أجابه القائد الأعلى :

ــ مستحيل ! .. الخطة تحتم عدم التصرّف على

نحو يوحى بأنهما مراقبان ، والمفروض أن يخوضا الصحراء وحدهما .

قال الدكتور (ناظم) فى حدة :

ــ وماذا لو أنهما يواجهان خطرًا ما ؟

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ــ كل شىء محتمل .

شعر الدكتور (ناظم) بآلام تنتشر فى ضلوعه المكسورة ، وهو يقول :

ــ هل نتخلى عنهما بهذه البساطة ؟

بدا الضيق على وجه القائد الأعلى ، وهو يجيب :

ــ إنه عملهما ، وهذا ما يتقاضيان عليه أجرهما .

هتف الدكتور (ناظم) فى غضب :

ــ أجرهما ؟!

ثم عاودته آلام ضلوعه فى شدة ، فخفض صوته ، مكملاً :

ــ هل تتصوّر أنهما يفعلان كل هذا ، من أجل الأجر الذى يتقاضيانه ؟! ..

قال القائد الأعلى فى حدة :

ــ أنا لم أقصد هذا المعنى بالضبط ، ولكن ماذا تريد منا أن نفعل ؟!.. إنهما محترفان ، وكلاهما يمتلك

القدرة على التصرّف فى أحلك المواقف ، فلماذا تطالبنى بإفساد الخطة كلها ؛ لمجرّد أنهما لم يرسلا الإشارة ؟! .. لقد هبطا بسلام .. هذا ما أكّده قائد الحوّامة ، التى أقلتهما إلى هناك ، فقد شهد بأن المظلتين انفتحتا بشكل سليم ، فى التوقيت المحدود لهما .. وربما تحطم جهاز الإرسال فى أثناء هبوطهما ، أو فُقِدَ ، أو حتى أحاط به مجال مغنطيسى أفسده .. هناك ألف احتمال واحتمال .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، مستطردًا :

ــ وليس من بينها احتمال واحد ، أن نلغى الخطة لأى سبب .. هل تسمعنى جيدًا يا دكتور (ناظم) ؟ .. لأى سبب ..

وكان أسلوبه ولهجته يعنيان أنه ليس مستعدًا للمساومة ..

وعلى الإطلاق ..

* * *

تطلّع (نور) إلى ساعته باهتمام بالغ ، وهو يسير إلى جوار (أكرم) ، فوق رمال الصحراء الغربية ، فقال هذا الأخير فى سخرية :

ــ ألديك موعد ما ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ كلا .. إننى أحاول تحديد موقعنا فحسب .

سأله فى دهشة :

ـ كيف ؟! .. لقد فقدنا البوصلة .. أليس كذلك ؟

ابتسم (نور) وهو يشير إلى ساعته ، قائلا :

ـ هذه بوصلة من نوع آخر يا صديقى .. بوصلة حديثة ، ترتبط مباشرة بالأقمار الصناعية ، وتتبادل معها إشارة منتظمة ، تستطيع الأقمار الصناعية بوساطتها تحديد موقعنا بالضبط ، بالنسبة لخطوط الطول والعرض ثم إرسال هذا الموقع إلينا ، وتحديد المسار الذى ينبغى أن نتخذه ، حتى نصل إلى النقطة المنشودة .

أومأ (أكرم) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ كانت لدى سيارة فى مطلع القرن ، تحوى جهاز إرشاد كهذا (*)

ابتسم (نور) فى خبث ، وهو يقول :

(*) أنتجت شركة (B. M. W) بالفعل سيارة تحوى خريطة كاملة ، يتم تحديد موقع السيارة عليها ، عن طريق الاتصال بالأقمار الصناعية .

ـ رائع .. هذا يعنى أنك تؤمن أحيانًا بأهمية العلم .

قال (أكرم) فى غضب :

ـ إننى أؤمن به دائمًا ، ولكننى أميل إلى البساطة .

قال (نور) ضاحكا :

ـ تقصد إلى البدائية :

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهو يقول :

ـ فليكن .. هذا شأنى .. ثم إن هذه البدائية أنقذت حياتك يومًا .. أليس كذلك ؟

قالها ، وانتظر تعليقًا من (نور) ، إلا أن هذا الأخير توقَّف بغتة ، وانحنى يتطلَّع إلى الرمال ، وقد اكتسى وجهه بشىء من القلق ، فاستطرد (أكرم) :

ـ آه .. لم أكن أقصد إغضابك .. فى الواقع إننى ..

انتبه فجأة إلى أن (نور) لا يسمعه تقريبًا ، فبتر عبارته ، وقال فى قلق :

ـ (نور) .. ماذا يحدث ؟

أشار (نور) إلى تيار من الرمال ، يتحرَّك عند أطراف أصابعه مباشرة ، وهو يقول فى توتر :

ـ أمر لم نضعه فى حساباتنا يا (أكرم) .. الرمال تتحرَّك فى سرعة ، عند مستوى قدمينا .

سأله (أكرم) :

ـ وما الذى يعنيه هذا !

اعتدل (نور) ، وهو يجيب فى قلق شديد :

ـ يعنى أن هناك عاصفة رملية فى الطريق إلى هنا .. عاصفة عاتية .

وكانت مفاجأة جديدة ..

* * *

« إنها أعنف عاصفة شهدتها الصحراء الغربية ، منذ ربع قرن .. » .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وهو يستمع إلى هذه العبارة ، من بين شفتى خبير الأرصاد فى الإدارة ، وقال فى حدة :

ـ أتخبرنى بهذا الآن ؟! .. لماذا لم تنتبهوا إلى هذا من قبل ؟!.. أتدرك ما الذى سيؤدى إليه هذا الخطأ ؟

أجابه الخبير فى ارتباك :

ـ ولكنه أمر خارج عن إرادتنا يا سيدى .. كل شىء كان يسير على ما يرام ، ثم تبدل اتجاه الرياح ، و ..

قاطعه القائد الأعلى فى غضب :

ـ لا تحاول .. إنها كارثة .. هل تفهم ؟.. كارثة .. سأحاكمك من أجل هذا .

شحب وجه الخبير ، وهو يقول :

ـ ولكنه ليس خطأ أحد يا سيدى .. إنها الطبيعة .. ما من مخلوق ، أو أداة ، أو حتى أفضل كمبيوتر فى الكون كله ، يمكنه التنبوء بتقلباتها .. وأفضل مراكز الأرصاد الجوية تعطى نتائج بنسبة لا تتجاوز الخمسة والتسعين فى المائة ، وهذا يعنى أنه فى أفضل الأحوال ، لدينا احتمال خمسة فى المائة أن يحدث انقلاب غير متوقع فى المناخ أو الطقس .

قال القائد الأعلى فى حنق :

ـ ولكن هذا الانقلاب يضع اثنين من أفضل رجالنا ، فى أسوأ موقف ممكن ، فى قلب عاصفة رملية عاتية ، ودون أن يمتلكا وسيلة لاتقائها .

سعل الدكتور (ناظم) ، واعتدل فوق مقعده فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ ربما كانت هناك وسيلة لإنقاذهما :

التفت إليه القائد الأعلى ، وقال فى توتر :

ـ لقد أخطأت بمغادرة فراش المرض ، كان المفروض أن تظل فى المستشفى ، حتى تنتهى فترة الملاحظة .

لوح الدكتور (ناظم) بكفه ، وهو يقول :

ـ هؤلاء الأطباء يتعسفون فى القلق .. دعك منهم .

ثم سعل مرة أخرى ، قبل أن يستطرد :

ــ المهم أن نجد وسيلة لإنقاذ (نور) و (أكرم) .. الا يمكننا إرسال طائرة لانتشالهما ؟

تنحنح خبير الأرصاد ، وهو يقول :

ــ كلا .. لست أعتقد هذا ، فسرعة الرياح ، وسحب الرمال ، تمنع أية طائرة من الطيران فى تلك المنطقة .

قال الدكتور (ناظم) فى انزعاج :

ــ ماذا نفعل إذن ؟

زفر القائد الأعلى فى أسف ، وهو يقول :

ــ ننتظر .. كل ما بقى أمامنا هو أن نجلس هنا ، وننتظر .

قالها ، فران على المكان صمت رهيب ، وكأنما أصدر بقوله هذا حكمًا نهائيًا على (نور) و (أكرم) .. حكمًا بالإعدام ..

* * *

أطلت من عينى ذلك الشخص النحيل الطويل نظرة مخيفة ، وهو يسير فى خطوات واسعة حازمة ، عبر تلك الممرات الغريبة ، التى يغمرها الضوء الفيروزى ، وتوقف أمام بوابة ضخمة ، يتوسطها رسم لحيوان

(ميناروس) كبير ، وقال بصوته العميق ، ذى النبرات القاسية ، وبلغته التى لا مثيل لها على كوكب الأرض :

ــ القائد (ليدر) أتى لمقابلة الإمبراطور ..

أدى حارسا البوابة التحية العسكرية فى احترام ، بضم قبضتيهما أمام صدريهما ، ثم ضغط أحدهما زرًا ، فانزاحت البوابة فى بطء ، كاشفة خلفها قاعة واسعة خاوية ، إلى من عرش زجاجى كبير ، يجلس فوقه رجل بدين ، أشار للرجل ، قائلاً :

ــ تقدم يا (ليدر) .

اتجه إليه النحيل بخطواته الواسعة ، وضم قبضته أمام قلبه ، وهو يقول :

ــ القائد (ليدر) فى خدمة الإمبراطور ..

أشار إليه الإمبراطور (فولار) بالاسترخاء ، قبل أن يسأله :

ــ كيف وجدت العالم الخارجى يا (ليدر) ؟

أجابه (ليدر) فى برود صارم :

ــ وجدته هشًا يا مولاى الإمبراطور .

اعتدل الإمبراطور على عرشه ، يسأله فى اهتمام :

ــ ماذا تعنى بأنه هش يا (ليدر) ؟

برقت عينا النحيل ، وهو يجيب :

– أسلحتهم لم ترقَ بعدُ إلى قوة أسلحتنا يا مولاى الإمبراطور ، وذكاؤهم لم يبلغ بعد نسبة ذكائنا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على شفتى الإمبراطور ، وهو يتراجع فى عرشه ، قائلا :

– عجبًا ! .. كيف نجحوا إذن فى القضاء على مساعديك الثلاثة ؟

أجابه النحيل فى برود :

– سوء حظ يا مولاى .

هتف الإمبراطور :

– حظ ؟!

ثم انفجر ضاحكًا فى سخرية ، انعقد لها حاجبا (ليدر) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، حتى انتهى الإمبراطور من ضحكاته ، وقال :

– يبدو أن القائد (ليدر) لم يعد يحتمل طعم الهزائم .

أجابه (ليدر) فى صرامة :

– القائد (ليدر) لم يذق طعم الهزائم قط يا مولاى .. صحيح أننى خسرت مساعدىَّ الثلاثة ، ولكن مهمتى نجحت تمامًا .. لقد محوت كل ما يتصل ، ومن يتصل

بالدكتور (حسن) ، ولم يعد بإمكان شخص واحد من عالمه أن يتعقب أثرنا .

عاد الإمبراطور يميل إلى الأمام ، ويسأله فى شىء من الخبث :

– هل تعتقد هذا حقًا ؟

أجابه (ليدر) فى حزم :

– بل أثق به تمامًا يا مولاى .. لقد قضينا على الدكتور (حسن) نفسه ، قبل أن يدلى بما لديه ، وسحقنا أبحاثه وأبحاث زميله الدكتور (مراد) ، ثم قتلنا هذا الأخير نفسه ، ومحونا كل ما يتعلق بهما من ذاكرة الكمبيوتر الرئيسية .

رفع الإمبراطور سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ولكن هذا لم يكف لإنهاء الأمر .

التقى حاجبا (ليدر) ، وهو يقول :

– ماذا يعنى مولاى الإمبراطور ؟

أجابه الإمبراطور فى صرامة ، وهو يضغط زرًا خفيًا ، فى مسند عرشه الزجاجى .

– أعنى هذا أيها القائد (ليدر) .

دار العرش على قاعدته ، ليواجه الجدار الخلفى للقاعة ، الذى تألقت فى منتصفه مساحة كبيرة ، لم


ظهرت عليها صورة (نور) و (أكرم) ، وهما يتحركان فى صعوبة ..

تلبث أن تحولت إلى شاشة رصد ، ظهرت عليها صورة (نور) و (أكرم) ، وهما يتحركان فى صعوبة ، وسط العاصفة الرملية ، التى لم تبلغ شدتها بعد ، فقال (ليدر) فى صرامة :

ـ لقد رأيت هذين الرجلين من قبل .

قال الإمبراطور فى غضب :

ـ عظيم أنك اعترفت ، فمن الواضح أنهما تبعاك إلى هنا .

قال (ليدر) فى حدة :

ـ مستحيل !

ثم استدرك فى غضب :

ـ أجهزة الرصد فى مركبتى ، لم تشر إلى أى تعقّب .

سأله الإمبراطور :

ـ كيف وصلا إلى هنا إذن ؟

راقب (ليدر) الشاشة لحظات فى صمت ، ثم أجاب فى صرامة :

ـ هناك خيط ما .

أجابه الإمبراطور فى حدة :

ـ بالطبع خيط لم تنجح فى قطعه يا (ليدر) .. خيط جعل (لانتس) عرضة للخطر للمرة الثانية ، فى غضون عامين فحسب .

صمت (ليدر) مرة أخرى ، وهو يراقب الشاشة ، قبل أن يقول :

ـ ربما لا يتجاوز الأمر محاولة بحث يا مولاى .. ربما يجهلان حقيقة الأمر فعليًا ، ويحاولان استكمال ما يحتاجان إلى معرفته ، للوصول إلينا .

قال الإمبراطور فى حدة :

ـ وهل سنسمح لهما بهذا ؟

انحنى (ليدر) أمامه ، وهو يقول :

ـ أنا رهن إشارة مولاى الإمبراطور ، سأفعل كل ما يأمرنى به بشأنهما .

ثم رفع عينيه مرة ثالثة إلى الشاشة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ مالم تقتلهما العاصفة الرملية أولاً ..

نعم .. أنت على حق يا (ليدر) ..

مالم تقتلهما العاصفة الرملية أولاً ..

* * *

تزايدت شدة العاصفة الرملية بسرعة ، وتضاعفت سرعة الرمال ، التى أصبحت أشبه برصاصات دقيقة ، ترتطم بجسدى (نور) و (أكرم) وجسميهما ، فهتف الأخير فى عصبية :

ـ رائع .. لماذ لم تخبرنى أنك تعد لى مفاجأة هنا ؟

أجابه (نور) ، وهو يخرج مظلة الهبوط من حقيبته :

ـ هذه العاصفة لم تكن فى الحسبان .

هتف (أكرم) :

ـ بالطبع .. إنها مفاجأة الحفل .. المهم .. أتدخر لى مفاجآت أخرى ؟

قال (نور) ، وهو يمزق المظلة إلى نصفين :

ـ كفى سخرية .. لقد اقتربنا من الهدف ، ولو احتملنا هذه العاصفة ، ونجحنا فى تجاوزها ، سنبلغه فى سلام .

ثم ناوله أحد نصفى المظلة ، مستطردًا :

ـ خذ هذا ، وأحط به جسدك كله ، لتقيه من الرمال ، وإلا مزقت بشرتك بعد قليل .

أخفى (أكرم) جسده كله بنصف المظلة ، وهو يقول :

ـ هل يمكن أن يحمينا هذا ؟

أجابه (نور) :

ـ سيحمينا من الأثر المباشر فحسب ، ولكن مع سرعة الرمال ، سيصبح التنفس عسيرًا ، وستغمرنا الرمال ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انهارت الرمال بغتة ، من التبة المجاورة ، فصاح (أكرم) ، وهو يقفز نحوه :

ـ احترس يا (نور) .

كانت قفزته قوية ، إلى أن الرمال سبقته إلى (نور) ، وانهالت فوقه كالسيل ، فاختفى جسده كله تحتها ، وصرخ (أكرم) في ارتياع :

ـ لا .. ليس (نور) .. ليس (نور) .

أخذ يزيح الرمال عن جسد (نور) بكل قوته ، على الرغم من الرمال التى ترتطم بوجهه فى عنف ، بعد سقوط ذلك الجزء من المظلة ، الذى كان يحتمى به .

ولكن فجأة ، انهالت كمية أخرى من الرمال ..

وسقطت كلها فوقه ..

ولثوان ، لم يعد هناك أثر لـ (أكرم) أو (نور) ..

ثم تحركت الرمال فى بقعة صغيرة ..

وبرزت يد كاملة ..

وفى استماتة ، راحت تلك اليد تزيح الرمال عن جسد ، لم يلبث أن نهض من وسط الرمال ، فى مشهد أشبه بأفلام الرعب القديمة ، عندما ينهض الموتى من قبورهم ..

كان جسد (أكرم) ، الذى سعل فى قوة ، ليلقى الرمال من فمه وحلقه ، ثم عاد يحفر كالمجنون ، لينتزع جسد (نور) ..

وردّدت العاصفة صرخاته الملتاعة :

ـ قاوم يا (نور) .. قاوم .. لا تستسلم للموت .. قاوم .

مضت ثوان ثقيلة ، أشبه بدهر كامل ، قبل أن يظهر جزء من المظلة التى كان يحتمى بها (نور) ، فضاعف (أكرم) من سرعته ، وراح يزيح الرمال فى لهفة وتوتر ، حتى ظهر رأس (نور) ، فجذبه (أكرم) بكل قوته ، وهو يهتف بصوت متحشرج ، يموج بالانفعال :

ـ أخيرًا .. أخيرًا يا (نور) .

استجمع قوته كلها ، وقاوم الرمال العاتية ، وهو يسحب جسد (نور) كله خارج الرمال ، ثم انحنى يفحصه فى توتر ، قائلًا :

ــ رباه ! .. إنه لا يستجيب لمحاولاتى ..

راح يضغط صدر (نور) ، وينفخ الهواء فى فمه ، فى محاولة لإنعاش جهازه التنفسى ، وهو يصرخ :

ــ استجب يا (نور) .. لا تفارق العالم بهذه السهولة .. ليس هكذا .. ليس هنا ..

كانت محاولاته مستميتة بالفعل ، إلا أن جسد (نور) ظلّ ساكنًا ، ولم تفارق أنفاسه صدره ..

وكان هذا يعني أن (نور) قد بلغ محطته .. محطته الأخيرة ..

* * *



٨ ــ البوّابة ..

انهمك (ميتشا) ، ساحر (لانتس) الأول ، فى إعداد بعض المواد الكيماوية ، التى يستعين بها فى أعماله ، وحمل وعاءً كبيرًا فى حرص ، واتجه به نحو آلة سحق كبيرة ، عندما سمع صوتًا من خلفه ، يقول فى صرامة :

ــ لم يعد هذا يُجدى .

اضطرب (ميتشا) ، وكاد الوعاء يسقط من يده ، وهو يستدير إلى مصدر الصوت ، ويقول فى حدة :

ــ (ليدر) !.. طلبت منك أكثر من مرة ، ألا تدخل معملى دون استئذانى ؟

أجابه (ليدر) فى برود ، وهو يدلف إلى المكان :

ــ لقد ضغطت دائرة الأمن ، ولكنك لم تسمع الأزيز .

قال الساحر فى ضيق :

ــ أنا منهمك فى إعداد بعض المواد الضرورية .

أدار (ليدر) عينيه فى المكان ، قبل أن يقول :

ــ أما زلت تمارس شعوذتك هذه يا (ميتشا) ؟

عقد الساحر حاجبيه ، وهو يقول :

ـ إنها ليست شعوذة .. إنه علم يا (ليدر) .. علم لا يفهمه المحاربون أمثالك .

تطلع إليه (ليدر) بنظرة باردة ، وهو يقول :

ـ ربما .

ثم أزاح بعض أدوات المعمل فى لا مبالاة ، ليسند يده فى موضعها ، وهو يستطرد :

ـ ولكن العالم الخارجى لم يعد يعترف بالسحرة أو الحواة ، ويطلق عليهم أسماء أخرى .

اعتدل الساحر ، وسأله فى اهتمام :

ـ حقًا ؟! .. ما الذى حملته أيضًا ، من العالم الخارجى يا (ليدر) ؟

ازدادت عينا (ليدر) ضيقًا ، وهو يجيب :

ـ الكثير .

ثم لوح بيده ، مضيفًا :

ـ وأهم ما أدركته هو أن أسلحتنا ما زالت تتفوق عليهم .

هز الساحر كتفيه ، وقال :

ـ إلى حد ما .

أجابه (ليدر) فى صرامة :

ـ بل إلى حد كبير .. الطاقة التى نستخدمها هنا ،

لا قبل لهم بها ، وأسلحتنا تثير فى نفوسهم الرعب ، و ..

قاطعه الساحر فى حزم :

ـ المشكلة لا تكمن فى الأسلحة وحدها يا (ليدر) ، وأنت تعلم هذا جيدًا .

مط (ليدر) شفتيه ، وهو يقول :

ـ هذا ما يردده الجميع منذ زمن طويل يا (ميتشا) ، ولكننى أخالفكم الرأى .. إننى أعتقد أننا نستطيع السيطرة على ذلك العالم فى سهولة ، لو أننا أردنا هذا .

هز الساحر رأسه نفيًا ، وقال :

ـ الأمر ليس بهذه السهولة يا (ليدر) ، وإلا لفعلها أجدادنا أو أجداد أجدادنا .. عندما لم يكن ذلك العالم قد بلغ هذا الشأن بعد ، وعندما كان قتاله أكثر سهولة ، ولكن مجلس الحكم القديم درس الأمر ، ووجد أن الانتصار ، مهما بلغ زهوه ، سيظل محدودًا ، ولن يمكنهم السيطرة على الموقف طويلًا .

عاد (ليدر) يمط شفتيه ، وهو يقول :

ـ خطأ .. مجلس الحكم القديم كان مخطئًا .. إنهم لم يدرسوا الأمر جيدًا .

ثم برقت عيناه ، مع استطرادته :

ـ ولكن أنا درسته .

رمقه الساحر بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

ـ حديثك هذا لا يروق لى يا (ليدر) .

بدت على ركن شفتى (ليدر) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ إنه لا يروق لكل المتخاذلين ، وعلى رأسهم إمبراطورنا المحبوب (فولار) .

اتسعت عينا الساحر فى هلع ، وهو يهتف :

ـ (ليدر) .. هل جننت ؟.. كيف تتحدث بهذا الشكل عن الإمبراطور ؟

أجابه (ليدر) فى بطء :

ـ آه .. نسيت أننا نقدس الأباطرة فى عالمنا .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

ـ ولكن هذا لا يحدث فى العالم الآخر .

تنهد الساحر ، قائلاً :

ـ من الواضح أن العالم الآخر يشغلك بشدة يا (ليدر) .

أجابه فى صرامة :

ـ بالطبع .. إننى مقتنع بأن فريقًا صغيرًا ، يحمل أسلحة كافية من عالمنا ، يمكنه السيطرة فى سهولة على ذلك العالم الآخر .

هز الساحر رأسه ، مغمغمًا :

ـ مجرد فكرة نظرية ..

أشار بيده فى صرامة ، قائلاً :

ـ امنحونى السلطة اللازمة ، وسأحولها إلى حقيقة .

قال الساحر فى صرامة أشد :

ـ مستحيل ! .. هذا الأمر غير قابل للمناقشة ..

صمت (ليدر) لحظات ، وهو يتطلع إليه بعينيه الغائرتين المخيفتين ، قبل أن يقول :

ـ نعم .. مثل ذلك الأمر الآخر ، الذى ثبت أننى كنت محقًا فيه .

سأله الساحر :

ـ أى أمر ؟

أجابه فى برود :

ـ أمر الدكتور (حسن) ، الذى اقتحم عالمنا ، واخترق ستار السرية ، الذى نحيطه به منذ قرون وقرون ، وأبقيتم على حياته وسطنا ، على الرغم من رأيى الحاسم بضرورة التخلص منه ..

قال الساحر فى توتر :

ـ لم نكن نعلم أنه سيحاول الفرار .

ضرب (ليدر) سطح المنضدة المجاورة بقبضته ، وهو يهتف :

ـ غباء .. أى شخص يحتجز فى عالم مغلق سيسعى للفرار ، وخصوصًا لو كان أحد علماء العالم الآخر .. كان ينبغى أن تدركوا هذا .

تنهّد الساحر ، وقال :

ـ ربما أخطأنا هذه المرة يا (ليدر) ، ولكن من حسن الحظ أننا استطعنا تدارك الخطأ .

قال (ليدر) فى غضب :

ـ كنت أظن هذا .

تطلّع إليه (ميتشا) فى دهشة ، قبل أن يسأله :

ـ ماذا تعنى بأنك كنت تظن هذا ؟! .. ألم تخبرنى أنك دمّرت كل شىء يتعلّق بنا فى عالمه .

كررْ (ليدر) عبارته فى ضيق :

ـ كنت أظن هذا ، حتى رأيت الرجلين .

سأله الساحر فى توتر بالغ :

ـ أى رجلين ؟

صمت (ليدر) لحظات ، ثم أجاب فى صرامة :

ـ الرجلين اللذين رأيتهما فى العالم الآخر .. إنهما يسعيان إلينا ، ولكن عاصفة الرمال واجهتهما فى الخارج ، وربما تقضى عليهما ، وإلا ..

وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

ـ وإلا قمت أنا بهذه المهمة .

تطلّع إليه الساحر فى قلق ، وشعر فى أعماقه بأن (ليدر) هذا يحمل فى أعماقه مشكلة ..

مشكلة رهيبة ..

* * *

فجأة ، سعل (نور) ..

ومع سعاله ، خفق قلب (أكرم) فى عنف ، وهتف :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .. إنه حى .. حى .

وأحاط جسد (نور) بالمظلة فى رفق ، وهو يواصل محاولة إسعافه ، حتى فتح (نور) عينيه ، وغمغم :

ـ كفى .

أطلق (أكرم) زفرة ارتياح ، على الرغم من الرمال العنيفة ، وهتف :

ـ لقد نجوت يا صديقى .. حمدًا لله .. خشيت لحظة أن أفقدك ..

حاول (نور) أن يبتسم ، وهو يغمغم :

ـ ليس بهذه السهولة .

كانت العاصفة فى أوجها ، والرمال تكاد تدفنهما تحتها مرة أخرى ، ولكن (أكرم) أطلق ضحكة عالية ، وهو يقول :

– هذا هو (نور) الذى أعرفه .
اعتدل (نور) محتميًا بالمظلة ، وهو يقول :
– أعتقد أنك أنقذت حياتى مرة أخرى .
قال (أكرم) ، وهو يحتمى بالمظلة بدوره :
– لا تجعل هذا يشغلك لقد اعتدته .
كان كلاهما مضطرًا لرفع صوته ، فى محاولة للتغلب على هدير العاصفة ، فقال (نور) :
– أعتقد أننا لن نستطيع التقدم خطوة واحدة .
قال (أكرم) ، وهو يشعر بالرمال تكاد تقتلع المظلة :
– للمرة الأولى نتفق فى الرأى .
كانا يشعران بصعوبة فى التنفس ، ويكاد صفير الرياح والرمال يخترق آذانهما ، إلا أنهما كانا يدركان جيدًا أنه مامن سبيل أمامهما سوى الاحتمال ..
الاحتمال إلى آخر رمق ..
وبالنسبة لهما ، كانت المعركة رهيبة ومستمرة ..
المعركة مع العاصفة ..
الرياح قوية ، والرمال عنيفة حادة ، تقاتل لاحتوائهما ، وهما يقاتلان للفرار منها ، ومنعها من دفنهما تحتها ..
والوقت يمضى فى بطء مؤلم ..

الثوانى تمضى كالدقائق ، والدقائق كالساعات ، والساعات كدهر بلا حدود ..
والسلاح الوحيد ، الذى يصلح لقتال الطبيعة ومقاومتها ، هو الصبر .
والإرادة ..
ولم يدر (نور) و (أكرم) كم مضى من الوقت ، وهما يقاتلان العاصفة ، وإن بدا لهما أنهما يقاتلان منذ ألف قرن .
ثم هدأ كل شىء بغتة ..
وهذه طبيعة الصحراء ..
تثور بغتة ، وتهدأ بغتة ..
ومع كل ثورة تتقلب التضاريس ، ويسقط عشرات الضحايا ، وتتصارع الرياح مع الرمال .
ولكن الحياة تنتصر فى النهاية ..
وعندما هدأت العاصفة ، مع نسمات فجر اليوم التالى ، ساد الصحراء سكون عجيب ، كما لو أن الرمال كلها قد تهالكت ، بعد صراع ليلة طويلة .
ثم برز حيوان صغير من وسط الرمال ، وراح يعدو فوق الرمال ، وكأنما يعلن عن سعادته ببقائه على قيد الحياة ..

وفجأة ، وثب مذعورا ، عندما تحركت الرمال أسفله ، وانطلق يعدو مبتعدا ، فى حين انزاحت الرمال عن المكان ، وبرز (أكرم) وهو يزيح المظلة ، قائلاً :

ــ أخيرا .

نفض (نور) الرمال عن ثيابه ، وهو ينهض قائلاً :

ــ حمدًا لله .. لم أتصور أبدًا أننا سننجو من هذه العاصفة .

تنهد (اكرم) ، وهو يقول :

ــ لو تواصلت لساعتين أخريين ، لما نجونا منها بالفعل .. لقد كلت يدى من حمل هذه المظلة ، والتصدى بها لتلك العاصفة ، التى بدت وكأنها لن تنتهى أبدًا .

حمل (نور) حقيبته ، قائلاً :

ــ ولكنها انتهت والحمد لله ، ويمكننا مواصلة طريقنا .

هتف (أكرم) مستنكرًا :

ــ بهذه السرعة ؟!

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ إنك لا ترغب فى البقاء هنا إلى الأبد .. أليس كذلك ؟

مط (أكرم) شفتيه ، ثم تبعه مغمغمًا :

ــ بالطبع .. من يرغب فى البقاء هنا ؟

ساروا متجاورين فى صمت ، فوق رمال الصحراء ، التى امتدت أمامهما إلى مالا نهاية ، وبدا المشهد وكأنه دليل على قوة الطبيعة وسطوتها ، وعلى عظمة الخالق (عزَّ وجلَّ) ، فالصحراء التى صرخت وزأرت ، ولوَّحت بالغضب والثورة أمس ، هدأت واستكانت ، وأسبلت جفنيها فى تراخ اليوم ، والرمال التى ظلت تضرب الوجوه والأعناق ، وتدفع الأجساد والعقول لعدة ساعات ، صمتت وسكنت ، واستقرت متراصة فى خطوط أنيقة رتيبة ، امتدت إلى أمد البصر ..

وربما كان هذا سر صمت (نور) و (أكرم) ..

الرهبة ..

الرهبة والخشوع ، أمام آية من آيات الله (سبحانه وتعالى) ..

وفجأة ، شقَّ الصمت أزيز متصل ..

أزيز ، انطلق من ساعة (نور) ، الذى توقف دفعة واحدة ، وخفض عينيه يحدق فى ساعته ، قبل أن يمسك (أكرم) فى انفعال ، قائلاً :

ــ هنا .

سأله (أكرم) في قلق واهتمام :
ـ ماذا هنا ؟
أشار (نور) بسبابته ، مجيبًا :
ـ الرقم سبعة وعشرون ..
ثم أدار عينيه فيما حوله ، مضيفًا في حماس :
ـ البوابة .. بوابة الأرض المفقودة .
وخيل لـ (أكرم) أن الصحـراء كلها قد شـهقت فى انفعال ..
وفى قلق ..

* * *

انعقد حاجبا الإمـبراطور (فـولار) فى شدة ، وهو يراقب شاشته الضخمـة فى قلق . وسمع صوت بابـه الضخم يفتح من خلفه . ووقع أقـدام تقترب منـه ، قبل أن يرتفع صوت (ليدر) ، قائلاً :
ـ القائد (ليدر) تحت أمر الإمبراطور .
أشار الإمبراطور إلى الشاشة ، وقال فى توتر :
ـ إنهما هنا .
انعقد حاجبا (ليدر) فى شدة ، وهـو يتطلّع إلـى الشاشة ، قبل أن يقول فى صرامة :
ـ لو أمر مولاى الإمـبراطور ، يمكننـى سـحقهما بضغطة زر واحدة .

أشار الإمبراطور بيده ، قائلاً :
ـ كلا .
بدا الغضب على وجه (ليدر) ، وهو يقول :
ـ هل سيبقى مولاى عليهما ؟
قال الإمبراطور فى حزم :
ـ بالطبع ..
هتف (ليدر) فى حدة :
ـ هل يصرّ مولاى على تكـرار الخطأ السابق ؟!
استدار إليه الإمبراطور فى غضب هادر :
ـ خطأ ؟!
اندفع (ليدر) يقول فى حدة :
ـ نعم .. خطأ الإبقـاء على غربـاء ، يعرفون سر بوابتنا المقدسـة .. ذلك الخطأ الذى كـاد يتسـبّب فـى تدمير إمبراطوريتنا كلها ، والذى ..
قاطعه الإمبراطور صارخًا فى غضب :
ـ كفى .. كيف تجرؤ على التحدُّث إلى إمـبراطورك بهذا الأسـلوب ؟.. ألا تـدرك أننـى أستطيع إعدامك لمـا فعلت ؟
قال (ليدر) فى حنق :
ـ مولاى .. إننى أحاول الحفاظ على الإمبراطورية .

صرخ الإمبراطور :

ـ ليس هذا من شأنك .

انعقد حاجبا (ليدر) فى شدة ، وهو يقول :

ـ كما يأمر مولاى .

تطلع إليه الإمبراطور لحظات فى غضب شديد ، ثم عاد يستدير إلى الشاشة ، ويقول :

ـ ثم أن شيئًا لم يحدث بعد ..

قال (ليدر) فى صرامة :

ـ إنهما عند البوابة بالضبط يا مولاى ، وهما يعلمان هذا .

أشار الإمبراطور بسبابته ، دون أن يرفع عينيه عن الشاشة ، قائلا :

ـ ولكنهما يجهلان كيفية التعامل معها .

قال (ليدر) :

ـ وماذا لو أنهما توصلا إلى هذا أيضًا ؟

صمت الإمبراطور لحظة ، ثم قال :

ـ لن يمكنهما هذا .

كظم (ليدر) غيظه ، وهو يقول :

ـ كما يقول مولاى .

ثم أكمل فى أعماقه :

ـ ولكن لو وقعت فى الخطأ نفسه للمرة الثانية ، فلن تستحق بعدها عرشك هذا .. لن تستحقه أبدًا .

وبقيت عبارته فى أعماقه ..

واشتعلت ..

* * *

أدار (أكرم) عينيه فيما حوله فى حيرة ، وهو يقول :

ـ أأنت واثق من صحة الموقع يا (نور) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يخرج بعض القطع من حقيبته ، وقال :

ـ تمام الثقة يا صديقى .. إننا عند البوابة بالضبط .

عاد (أكرم) يدير عينيه فى الصحراء ، قبل أن يلوّح بيده ، قائلا :

ـ ولكننى لست أشعر بأى اختلاف قط .. مجرد بقعة عادية من الصحراء ، لا تختلف عن البقاع الأخرى ، فما الذى يميّزها فى رأيك ؟

انهمك (نور) فى تركيب تلك القطع بعضها بالبعض ، فى دقة مثيرة للاهتمام ، حتى أن (أكرم) نسى سؤاله ، وقال فى فضول :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، وهو يواصل عمله :

- جهاز إليكترونى خاص ، من ابتكار زوجتى (سلوى) ، ومهمته هى إرسال نوع من الذبذبات المتغيرة ، يتصاعد تدريجيًا ، على نحو منتظم ، بدءًا من ذبذبة الصوت العادية ، وحتى درجات بالغة القوة من الذبذبة ، لن تستطيع آذاننا احتمالها ، ولهذا أحضرت معى حاجبات الصوت .. ضع واحدة منها على أذنيك ، عندما يبدأ الجهاز فى العمل .

التقط (أكرم) حاجبة الصوت ، وهو يسأله فى حيرة :

- وما المفروض أن يفعله هذا الجهاز ؟

أجابه (نور) ، وهو يوصل القطع الأخيرة :

- نظرية الدكتور (حسن) تقول : إن تلك الأرض المفقودة تقع فى بُعد آخر ، والبوابة تصل بينها وبين عالمنا ، وهذا يعنى أن البوابة نفسها تقع فى منطقة ذبذبة مختلفة ، ولهذا لا نراها ، ولا نشعر بوجودها ، ومهمة هذا الجهاز أن يفسد عمل تلك الذبذبة ، ويتداخل معها بذبذبة مضادة ، بحيث تصبح البوابة واضحة للأعين .

ارتفع حاجبا (أكرم) ، وهو يهتف :

- حقًا ؟!.. زوجتك هذه عبقرية يا (نور) .

ابتسم (نور) ، مغمغمًا :

- هذا صحيح .

أضاف (أكرم) فى حماس :

- لماذا أبعدتها عن الفريق ؟.. إنها تتوافق مع هذا النوع من العمل تمامًا .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يلتفت إليه ، قائلًا :

- ومن قال إننى أبعدتها عن العمل بالفريق ؟

تمتم (أكرم) ، فى شىء من الحرج :

- كنت أعتقد أنك ..

قاطعه (نور) فى حسم :

- خطأ يا صديقى .. أنا لم أعتد إجبار زوجتى ، أو أى شخص آخر ، على فعل ما يكره .. (سلوى) هى التى اتخذت قرارها بمحض إرادتها .. عمليتنا الأخيرة فى (أرغوران) (*) أصابتها بمتاعب نفسية شديدة ، وخصوصًا مع مصرع (محمود) فى نهايتها ، وهى تعتقد أنها لم تعد قادرة على مواجهة الخطر ، وتميل إلى العمل فى مكان هادئ ، ولهذا اعتزلت العمل مع الفريق ، وقررت التفرغ لوظيفة ربة المنزل لعام واحد ،

(*) راجع قصة (لهيب الكواكب) .. المغامرة رقم (٩٧) .

تلتحق بعدها بمعامل الأبحاث ، التابعة للإدارة .

غمغم (أكرم) ، وكأنه يحاول الاعتذار :

– قرار حكيم .

ثم أضاف فى حماس مفتعل ، كمحاولة للخروج من الموقف كله :

– ألن يبدأ جهازك العمل ؟

نجحت محاولته فى صرف انتباه (نور) إلى العمل ، أو بدا وكأنها كذلك ، وهو يقول :

– إنه مستعد الآن .. ضع حاجبة الأصوات على أذنيك .

أخفى كل منهما أذنيه بحاجبتى الأصوات ، ثم ضغط (نور) .. زر الجهاز ، وهو يقول فى صوت لم يسمعه كلاهما :

– الآن .

وبدأ الجهاز عمله ..

لم يكن هناك أى أثر ملحوظ لهذا العمل ، مع حجب الأذنين ، مما جعل (أكرم) يشعر بالملل ، ففتح فمه لينطق بعبارة ما ، و ..

وفجأة ، دوت تلك الفرقعة المكتومة ..

لا ريب أنها كانت فرقعة قوية للغاية ، حتى أن بعضًا

من صوتها هزم حاجبة الأذن ، وتجاوز قدرتها على حجب الأصوات ، وبلغ مسامع (نور) و (أكرم) ، فالتفتا إلى بعضهما فى حركة حادة ، ثم ارتفعت عيونهما إلى أعلى ..

إلى ذلك القوس الضخم ، الذى تجسّد حولهما فى بطء ..

لقد كانت هذه هى البوّابة ..

بوّابة الأرض المفقودة .

* * *



٩ ـ العالم الآخر ..

« لقد فعلاها .. » .

هتف الإمبراطور (فولار) بالعبارة فى قوة ، وكل حرف منها يحمل انزعاجه وانفعاله الجارفين ، فى حين عقد (ليدر) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول فى غضب :

ـ كنت أتوقّع هذا .

أومأ الإمبراطور برأسه ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنهما يعرفان الكثير .. الكثير جدًّا .

قال (ليدر) فى حدة :

ـ وهذا الكثير جعلهما يصلان إلى هنا .. إنها نتائج الخطأ الأوّل يا مولاى .. مرنى بسحقهما .. مرنى بسحقهما قبل فوات الأوان .

استدار إليه الإمبراطور ، وقال فى صرامة :

ـ كلاّ .

تراجع (ليدر) فى دهشة ، هاتفا :

ـ هل ستسمح لهما بالدخول إلى عالمنا ؟

أشار الإمبراطور بيده ، قائلاً :



ثم ارتفعت عيونهما إلى أعلى .. إلى ذلك القوس الضخم ..

— لقد توصلنا إلى الكثير ، ولا يمكننا القضاء عليهما ، قبل أن نعرف كيف فعلا هذا .

صاح (ليدر) :

— فلنسحقهما أولاً ، ثم نسأل عن الوسيلة فيما بعد .

صرخ الإمبراطور فى وجهه :

— لا تجادلنى .

انعقد حاجبا (ليدر) فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

— إذن فمولاى الإمبراطور يصر على السماح للغربيين بالدخول إلى عالمنا المحدود .

أجابه الإمبراطور فى صرامة أكثر شدة :

— القانون يحتم عليك إطاعة أوامرى دون مناقشة يا (ليدر) .

اكتسى وجه (ليدر) بقناع جامد ، حجب كل ما يشتعل فى أعماقه من انفعالات ، وهو ينحنى ، ويقول فى لهجة صاغرة :

— سمعًا وطاعة يا مولاى .

ثم استدار وغادر القاعة الإمبراطورية فى خطوات واسعة ثابتة ، دون أن يضيف إلى عبارته حرفًا واحدًا .

ولكن فى أعماقه ، راح قرار بالغ الخطورة يتكوّن ..

ويكبُر ..

ويكبُر ..

ويكبُر ..

* * *

خفق قلب (أكرم) فى قوة ، وهو يحدّق فى ذلك القوس الضخم ، الذى أحاط بهما ، وسأل (نور) فى توتر بالغ :

— والآن ماذا ؟

قرأ (نور) السؤال على شفتيه ، فأشار إلى الجانب الآخر من القوس ، الذى بدت فيه تلك الممرات العجيبة فى وضوح ، ثم وثب عبر القوس ، وهتف (أكرم) :

— كان ينبغى أن تجيب سؤالى أولاً .

قالها ، ووثب خلف (نور) ، داخل تلك الممرات .. ومن الداخل ، تبدّلت الصورة تمامًا ..

لم يعد الوسط المحيط بهما هو الصحراء ، بشمسها المشرقة ، ورمالها اللامعة ، ولم تعد الصورة الموجودة داخل القوس لممرات طويلة صامتة ، بل صارت تلك الممرات ، ذات الضوء الفيروزى ، هى الوسط المحيط ، ولم تعد الصحراء سوى صورة داخل القوس الكبير ..

ثم تألق القوس بغتة ، واختفت صورة الصحراء من خلفه تمامًا ، قبل أن يخبو تألقه ، ولا يعود هناك سوى الممرات ولوحة الأزرار ..

وفى عصبية ، انتزع (أكرم) حاجبات الأذن ، وهو يقول :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه (نور) فى انفعال واضح ، وهو يدير عينيه فى المكان :

ـ جهاز (سلوى) توقف عن العمل .. لا يمكنه الاستمرار إلى الأبد ، بهذه الطاقة الرهيبة .

حدّق (أكرم) فيه لحظة ، ثم هتف فى سخط :

ـ أتعنى أننا صرنا مسجونين هنا ؟

التفت (نور) إلى لوحة الأزرار ، وهو يقول :

ـ ليس تمامًا .

ووقف يتطلع إلى اللوحة فى اهتمام شديد ، جعل (أكرم) يقول فى حدة :

ـ ماذا دهاك ؟! .. أى نوع من البشر أنت ؟! .. كيف يمكنك أن تتعامل مع الموقف وكأنه أمر عادى ، يمر بنا كل يوم ؟! .. لقد اجتزنا منذ قليل تجربة رهيبة ، مازال قلبى يرتجف لهولها .. اخترقنا بوابة

زمن ، أو شىء مماثل ، نقلنا بغتة من عالم إلى آخر . ثم أغلقت البوابة خلفنا ، وأصبحنا سجينين داخل ذلك العالم الآخر ، دون أن نمتلك وسيلة للعودة ! .. ألا يكفى كل هذا ليزرع فى نفسك شيئًا ، ولو يسيرًا من القلق .

خُيّل إليه أن (نور) لم يسمعه قط ، وهو يشير إلى لوحة الأزرار ، قائلاً :

ـ أراهن على أن هذه اللوحة تتحكم فى الطاقة ، التى تفتح هذه البوابة وتغلقها .

أدار (أكرم) بصره فى عشرات الأزرار ، التى تملأ اللوحة ، قبل أن يقول فى توتر :

ـ المهم هو كيف تتعامل معها .

أتاه الجواب بصوت صارم جامد ، يقول بلغة عربية ركيكة :

ـ لن يمكنك التوصل إلى هذا قط .

استل (أكرم) مسدسه ، وهو يستدير إلى مصدر الصوت فى سرعة ، ووقع بصره على (ليدر) ، الذى يقف فى نهاية الممر ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ، وعيناه الغائرتان الصارمتان المخيفتان تتطلعان إليهما فى غضب رهيب ، وخلفه يقف أربعة رجال ، يحمل كل

منهم بندقية صغيرة ، تتوسطها كرة أرجوانية قاتلة ، وكل البنادق مصوبة إليهما ، و(ليدر) يضيف فى صرامة :

ــ أعتقد أنكما تعرفان تأثير أسلحتنا ، ومن الأفضل لكما أن تستسلما ، وإلا سحقناكما سحقًا بها .

هتف (أكرم) فى حدة ، وهو يلوّح بمسدسه :

ــ إننى أبغض التهديد يا هذا ، ولو أنك ..

ولكن (نور) قاطعه فى هدوء :

ــ إننا نستسلم ..

قالها وأخرج مسدسه الليزرى ، وألقاه أرضًا ، ثم دفعه بقدمه نحو (ليدر) ، فاتسعت عينا (أكرم) فى ذهول ، قبل أن يهتف فى غضب :

ــ ماذا تفعل ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ مثلما كنا نفعل فى التدريبات .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يستعيد كلمات (نور) ، فى أثناء الفترة التى تلقى فيها تدريباته الأولية ، عندما التحق بالمخابرات العلمية ..

« لا تعارض موقفًا اتخذه رئيسك قط .. » .

« ربما كانت هناك خطة سرية ، تحتم اتخاذ موقف لا يبدو لك منطقيًا ، ومعارضتك قد تفسد العملية كلها .. » .

ولثوان ، تمردت أعماق (أكرم) على هذه التعليمات ، إلا أن عقله لم يلبث أن استسلم لها ، فألقى مسدسه بدوره فى حنق ، وهو يقول :

ــ فليكن .. إننا نستسلم .

ثم أضاف فى حدة :

ــ مؤقتًا .

رمقه (ليدر) بنظرة صارمة ، ثم أشار إلى الرجال ، قائلاً :

ــ خذوهم إلى منطقة العزل ، حتى يتحدد موقفهم .

أسرع الرجال يحيطون بهما ، وقادوهما عبر الممرات المتشابكة ، يقودهم (ليدر) ، حتى خرجوا إلى فراغ هائل ..

فراغ تتوسطه ساحة ضخمة ، يتحرك عبرها مئات الأشخاص ، وعشرات العربات ، ذات التصميمات العجيبة ، وفى نهايته مدينة صغيرة ، فى منتصفها قصر منيف ، تعلو قبته إلى ضعفى ارتفاع المبانى المحيطة به ..

أما المارة فى الساحة الضخمة ، والذين توقفوا كلهم

فى آن واحد ، والتفتوا يتطلّعون إلى الموكب الصغير فى قلق وفضول ، فقد كانوا مزيجًا عجيبًا من مختلف الهيئات ..

بعضهم كان يرتدى أزياء قدماء المصريين ..

والبعض فى أزياء رومانية ..

والبعض الآخر فى ثياب حديثة ، أو ذات طراز يعود إلى أيام الحرب العالمية الثانية ..

والمدينة نفسها كانت مبانيها من مختلف الطرازات ..

طراز أشبه بالمعابد الفرعونية القديمة ، إلى جوار طراز رومانى عتيق ، وبينهما طراز إغريقى ، أو أوروبى ، أو تقليدى ..

أما القصر الإمبراطورى ، فكان أشبه بقلعة (صلاح الدين) (*) ، فى قبابه الكبيرة ، وأبراجه الموزّعة فى الأركان ..

(*) قلعة (صلاح الدين الأيوبى) : قلعة شيّدها (صلاح الدين الأيوبى) (١١٧٦ ــ ١١٨٣ م) فوق المقطم ، وتشرف على (القاهرة) ، لتكون مقرًا لحكومته ، ومعقلاً لجيشه ، وحصنًا لحمايته ، وظلّت مقر الحكم حتى أيام (محمد على) ، الذى شيّد فيها جامعه الكبير ومصانعه الحربية ، ويشغل المتحف الحربى حاليًا جانبًا منها

وفى انبهار ، هتف (أكرم) :

ــ ربّاه ! .. لم أتوقّع رؤية كل هذا .

أجابه (نور) :

ــ أما أنا ، فقد توقّعت ما هو أكثر ..

التفت إليهما (ليدر) ، وقال فى صرامة مخيفة :

ــ اصمتا .

لاذ كلاهما بالصمت ، وهما يقطعان الساحة الكبيرة ، أمام أعين الجميع ، ويتجهان وسط موكب الحراسة الصغير ، نحو القصر الإمبراطورى المنيف ..

وفى القصر ، قادهما (ليدر) ورجاله نحو أحد الأبراج الجانبية ، ووضعهما داخل حجرة كبيرة ، وقال بلغته العربية الركيكة :

ــ هذه الحجرة هى سجنكما .. إنها محاطة بجدار من الطاقة ، يستحيل اختراقه ، فلا داعى لمقاومة سخيفة ، أو محاولات ساذجة .

سأله (أكرم) فى توتر :

ــ ما الذى تنوون فعله بنا ؟

رمقه (ليدر) بنظرة باردة قاسية ، ثم ارتسمت فى ركن شفتيه ابتسامة ساخرة ، واستدار يغادر الحجرة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ومن خلفه انطلق جدار

الطاقة ، ليعزل الحجرة تمامًا ، وقد بدا أشبه بملايين الشرارات الصغيرة ، التى تتألق فى الهواء ، كما لو أنها تتراقص فوق جدار خفى ..

وفى عصبية ، قال (أكرم) :

ــ أعتقد أنه من الأفضل ألا أناقش الأمر معك ، فأجوبتك الغامضة المبتورة ستثير أعصابى أكثر ، وربما دفعتنى إلى قتلك .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ لماذا تتصرّف بكل هذا الغضب ؟! .. ألم تكن تعلم منذ البداية أننا نسعى للوصول إلى هذا المكان ؟!

قال (أكرم) فى حدة :

ــ بالتأكيد ، ولكننى لم أكن أعلم أننا بذلنا كل هذا الجهد ، لنستقر داخل سجن صغير ، فى تلك الأرض المفقودة .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ــ مؤقتًا يا صديقى .. مؤقتًا ..

تطلّع إليه (أكرم) لحظة فى شك ، قبل أن يقول :

ــ (نور) .. إنك تخفى شيئًا .. أليس كذلك ؟

ابتسم (نور) ، دون أن يجيب ، ولكن ابتسامته كانت توحى بأنه يخفى بالفعل أمرًا ما .. وخطة ما ..

* * *

اندفع مسئول الرصد إلى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وهو يقول فى انفعال كبير :

ــ التقطنا إشارة يا سيّدى .

اعتدل الدكتور (ناظم) فى حماس ، ثم تأوّه مع آلام صدره ، فى حين سأل القائد الأعلى فى اهتمام :

ــ إشارة من (نور) و (أكرم) ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ــ بل إشارة من جهاز الذبذبة المتغيّرة ، الذى صنعته السيّدة (سلوى) .

تبادل الدكتور (ناظم) والقائد الأعلى نظرة مفعمة بالانفعال ، قبل أن يقول الأوّل :

ــ هل بلغ الذبذبة المنشودة ؟

أجابه مسئول الرصد :

ــ نعم يا دكتور (ناظم) ، وأجهزتنا التقطت فيضًا من الطاقة ، انبعث من المنطقة لدقيقة واحدة ، ثم اختفى تمامًا ، مع توقف الجهاز عن البث .

عاد القائد الأعلى يتبادل نظرة انفعالية مع الدكتور (ناظم) ، وقال :

ــ لقد وصلا إلى البوّابة .

ثم أشار لمسئول الرصد بالانصراف ، قبل أن يستطرد :

ـ من الواضح أن نظرية (نور) صحيحة .. البوّابة فى البقعة التى حدّدها تمامًا .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ هل تعتقد أنهما عبراها ؟

أومأ القائد الأعلى برأسه ، مجيبًا :

ـ بلا أدنى شك .

حرّك الدكتور (ناظم) سبّابته فى توتر ، وهو يقول :

ـ إذن فلم يعد لنا سيطرة على العملية .

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ لا سيطرة لنا عليها منذ البداية .. إنها محاولة انتحارية من (نور) و (أكرم) ، لكشف أسرار (لانتس) هذه ، ووصولهما إلى مدخلها مجرّد بداية ، والمفروض أن يسعيا لجمع كل ما يمكنهما من معلومات ، ثم يبحثا عن وسيلة للفرار ، والعودة إلى هنا .

تطلّع إليه الدكتور (ناظم) ، قائلاً :

ـ السؤال هو : هل يمكنهما هذا ؟

غمغم القائد الأعلى :

ـ أتقصد مسألة العودة ؟

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، فتابع القائد الأعلى :

ـ لقد اتخذنا بعض الاحتياطات ، فى محاولة لضمان هذا ، ولكن الجزء الأكبر من العملية يعتمد عليهما .

وتراجع فى مقعده ، مؤكّدًا :

ـ على (نور) و (أكرم) .

وبدا الجواب للدكتور (ناظم) غامضًا .. غامضًا تمامًا ..

* * *

« أرى أن نتخلّص منهما على الفور يا مولاى .. » .

نطق (ليدر) العبارة فى صرامة ، فى حضرة الإمبراطور والساحر (ميتشا) ، فقال الأخير فى هدوء :

ـ لا داعى للانفعال أيها القائد (ليدر) .. المفروض أن ندرس الأمر بالحكمة ، وليس بالحماس والثورة .

قال (ليدر) فى شىء من الغضب :

ـ لقد فعلنا هذا مرة أيها الساحر ، وجاءت النتيجة مخزية .

صاح به الإمبراطور :

ـ كفى يا (ليدر) .. منذ فرار الدكتور (حسن) ، وأنت توزّع اتهاماتك على الجميع بلا رادع .. ألم تدرك قط أنك المسئول الأوّل عن كل ما حدث ؟!

تراجع (ليدر) ، هاتفا :

ـ أنا يا مولاى .

أشار إليه الإمبراطور فى غضب ، صائحا :

ـ نعم .. أنت يا (ليدر) .. أنت كنت المسئول عن حراسة الدكتور (حسن) ، وإهمال رجالك وتقاعسهم هو السبب فى نجاحه فى الفرار .. هل لك أن تخبرنى كيف عرف شفرة فتح القوس ؟! .. كيف عرف طريقه إليه ؟.. أليس بسبب ما استخلصه منك ، أو من رجالك من معلومات ؟!

عقد (ليدر) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ مستحيل يا مولاى !.. مستحيل !.. لو أن أى خطأ قد حدث ، فالمسئول الأول هو الساحر (ميتشا) ..

هتف (ميتشا) مذعورًا :

ـ أنا ؟!

صاح به (ليدر) :

ـ نعم .. أنت .. لقد كان الرجل يقضى جل وقته معك ، وكنتما شغوفين بتبادل المعلومات والأسرار ، وهذا يعنى أن المسئول عن كل ما وصله من معلومات هو أنت أيها الساحر ، أو ..

وصمت بغتة ، قبل أن يدير عينيه إلى (فولار) ، مردفًا فى صرامة :

ـ أو مولاى الإمبراطور .

احتقن وجه الإمبراطور فى شدة ، وهو يقول :

ـ لقد تجاوزت حدودك حقًا يا (ليدر) ..

أجابه (ليدر) فى قوة :

ـ ولكن مولاى الإمبراطور كان يطرب كثيرًا لحديث الرجل ، ويقضى وقتا طويلا معه ، فى كل أسبوع ، ومن الجائز أن ..

قاطعه الإمبراطور بصيحة هادرة هذه المرة :

ـ تجاوزت حدودك .

وأشار إليه بسبابة مرتجفة ، من فرط الانفعال ، وهو يستطرد :

ـ منصبك لا يسمح لك بمناقشة مثل هذه الأمور .. أنت قائد الأمن ، ولست أحد أعضاء مجلس الحكم .

صاح (ليدر) :

ـ وأين مجلس الحكم المزعوم هذا ؟.. لماذا لم يجتمع مرة واحدة ، منذ اعتليت عرشك ؟

هتف الساحر منزعجًا :

ـ (ليدر) هل جننت يا رجل ؟!

أما الإمبراطور ، فقد تضاعف احتقان وجهه ، وهو يقول :

— يبدو أنك لم تعد تصلح لمنصبك هذا يا (ليدر) .

برقت عينا (ليدر) ، وتراجع فى حدة ، وهو يرمق الإمبراطور بنظرة قاسية ، فى حين أسرع الساحر يقول :

— (ليدر) لم يقصد هذا يا مولاى .. إنه خادمك المطيع ، وقائد أمن (لانتس) ، وحفيد قائدها السابق .. اغفر له يا مولاى .

انعقد حاجبا الإمبراطور فى غضب ، وهو يقول لـ (ليدر) :

— هل تعتقد هذا أيها القائد ؟

صمت (ليدر) لحظات ، ثم انحنى ، قائلاً فى لهجة جافة صارمة :

— أنا فى خدمة مولاى الإمبراطور .

تنهد الساحر فى ارتياح ، فى حين قال الإمبراطور :

— فليكن .. سأغفر لك للمرة الأخيرة يا (ليدر) .. والآن ، اذهب وأحضر الأسيرين ، فأنا أرغب فى معرفة كيفية وصولهما إلينا ، وهل يعرف هذا الطريق غيرهما ، أم أنهما يعملان منفردين ؟

انحنى (ليدر) مرة أخرى ، قائلاً :

— أمر مولاى .

ولكنه غادر القاعة ، وهو يضمر فى نفسه أمرًا خفيًا ، ومخيفًا ..

* * *

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهو يلوّح بقبضته فى وجه (نور) ، هاتفًا :

— لماذا لا تتحدث إلىّ ؟! إننى ألقى عليك عشرات الأسئلة ، وأنت تلتزم الصمت التام ؟

أشار إليه (نور) بأصابعه فى مهارة ، وبإشارات خاصة ، لقنه إياها خلال فترة التدريبات ، وقرأها (أكرم) فى سرعة ، وفهم ما تعنيه ..

كان (نور) يحذّره من احتمالات وجود أجهزة تصنّت فى المكان ، ويطالبه بالتزام الصمت ، والتظاهر بعدم الانتباه إلى هذا ..

ولم ينبس (أكرم) بحرف واحد ..

لقد أطاع إشارات (نور) ، ولاذ بالصمت التام ، وهو يراقب هذا الأخير ، الذى أخرج من حزامه جهازًا صغيرًا فى حجم نحلة إفريقية ، وألقاه على الأرض ..

وانطلق ذلك الجهاز يتحرّك بسرعة ، نحو جدار الطاقة ، وتوقّف لحظة عند قاعدته ، ثم عبره بسرعة مدهشة ، وواصل طريقه خارجه ، حتى اختفى تمامًا ..

وغمغم (أكرم) في دهشة وانبهار :

– كيف فعلها ؟

وضع (نور) سبابته على شفتيه ، مشيرًا إليه بالصمت ، فمط (أكرم) شفتيه فى استياء ، ولاذ بالصمت فى حنق ، وهو يتساءل عن ذلك الشىء الصغير ، الذى أطلقه (نور) ، وعما يمكن أن يفعله في الأرض المفقودة ..

والواقع أن ذلك الجهاز الصغير هو أدق جاسوس إليكتروني في ذلك العصر ..

إنه عبارة عن كمبيوتر بالغ الصغر والدقة ، له سعة ذاكرة مدهشة ، وقدرة على التنقل والتجوال فى أى مكان ، وتسجيل كل ما يمر به ، وتخزينه ، لتحديد معالم المكان ، وصنع خريطة متكاملة له ..

ولقد أدى ذلك الجاسوس الإليكتروني مهمته على أكمل وجه ، فانتقل بسرعة مذهلة ، عبر ممرات وطرقات (لانتس) ، وهو يطلق نبضات منتظمة ، حتى امتلأت ذاكرته كلها بالمعلومات ، فعاد أدراجه بنفس السرعة المدهشة ، حتى بلغ ذلك البرج ، الذى بدأ منه رحلته ، وراحت نبضاته تتضاعف وتتضاعف ،

وهو يقترب من زنزانة (نور) و (أكرم) ، ويستعد لاختراق جدار الطاقة ، ووقع بصر (أكرم) عليه ، وهو يقترب من الجدار ، فهتف فى انفعال :

– لقد عاد .

لم يكد ينطقها ، حتى برزت قدم غليظة بغتة ، وهوت على الجاسوس الإليكتروني الصغير ، فسحقته فى عنف ، جعل (أكرم) يطلق شهقة صغيرة ، انعقد لها حاجبا (نور) في توتر ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها (ليدر) ، وهو يزيح قدمه عن الجاسوس المسحوق ، قائلا :

– كان ينبغى أن نتوقع هذا .. لقد أتيتما للتجسس .

لم ينبس (نور) ببنت شفة ، و(ليدر) يزيل جدار الطاقة ، قائلا فى صرامة :

– ولكن مصيركما سيتحدد بعد قليل ، عندما تقابلان إمبراطورنا .

نطقها بلهجة خاصة ، بثت القلق فى نفس (نور) و (أكرم) ..

لهجة تعنى أن مقابلتهما للإمبراطور مجرد إجراء شكلي ، وأن الحكم عليهما قد صدر بالفعل ..

الحم بالإعدام .

* * *

١٠ ـ المواجهة ..

انبعثت أشعة الليزر ، من سقف حجرة القائد الأعلى ، وراحت ترسم خريطة هولوجرافية مجسمة لمنطقة بحر الرمال الأعظم ، في صحراء (مصر) الجنوبية ، بكل تبابها ومنخفضاتها ، تبعًا لآخر عملية رصد ، بعد انتهاء العاصفة ، فوق أسطوانة لامعة كبيرة ، في منتصف الحجرة تمامًا ، وأشار القائد الأعلى إلى نقطة متألقة فوقها ، وهو يقول لوزير الدفاع :

ـ هنا بالضبط تقع البوابة ، التي تقود إلى تلك الأرض المفقودة .. لقد تم تحديد موقعها بمنتهى الدقة ، وكذلك الذبذبة اللازمة للتعادل مع ذبذباتها ، والسماح بعبورها .

أومأ وزير الدفاع برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هذا يجعل النصر مضمونًا إلى حد ما .

تبادل القائد الأعلى نظرة دهشة مع الدكتور (ناظم) ، قبل أن يقول هذا الأخير :

ـ أي نصر ؟

اعتدل وزير الدفاع ، وأجاب في لهجة حازمة ، تحمل نبرة حماسية :

ـ النصر في حملتنا على الأرض المفقودة .

تراجع الدكتور (ناظم) مشدوهًا ، في حين هتف القائد الأعلى مستنكرًا :

ـ حملتنا ؟!.. معذرة يا سيادة وزير الدفاع ، ولكن يلوح لي أنني لم أحسن فهم المعنى المنشود.. ما الذي تقصده بهذا القول بالضبط ؟.. هل تفكر في مهاجمة تلك الأرض المفقودة ؟

أجابه وزير الدفاع في صرامة :

ـ بالطبع .. هذا المكان ، أيًا كان موقعه ، يحتل جزءًا من أرضنا ، وفي أول مواجهة بيننا ، تسبب قاطنوه في الكثير من التخريب والتدمير في عالمنا ، ومن واجبنا والحال هكذا ، أن نتخذ كل الوسائل الممكنة ، في محاولة لمنع أية تهديدات مستقبلية ، ولقد درسنا الأمر في وزارة الدفاع ، ووجدنا أنه لا توجد أية ضمانات لمنع حدوث محاولة منهم لاحتلالنا في المستقبل ، وأن أفضل ما يمكن فعله ، هو أن نبادر نحن باحتلالهم .

قال الدكتور (ناظم) في حدة :

— ولكنها سابقة مخيفة يا سيادة الوزير .. (مصر) لم تكن أبدا دولة معتدية أو استعمارية .

هتف الوزير فى استهجان :

— معتدية واستعمارية ؟!.. أى قول هذا يا دكتور (ناظم) ؟.. ما نسعى إليه ليس اعتداء ، ولا هو حملة استعمارية كما تتصور .. إنها على العكس تماما ، محاولة لاستعادة سيطرتنا على جزء من أرضنا ، يحتله غرباء منذ عدد من السنين نجهله حتى الآن ، والأمر لم يعد يقتصر على وجودهم فى أرضنا فحسب ، لقد امتد إلى اعتدائهم علينا .. ألا يكفى هذا فى رأيكما لشن حملة عليهم ؟

اندفع القائد الأعلى يقول فى حدة :

— ولكنها حملة غير مضمونة النتائج ، وقد تؤدى إلى العكس من الغرض منها تماما .

انعقد حاجبا وزير الدفاع فى غضب ، وهو يقول :

— ماذا تعنى ؟

أجابه القائد الأعلى :

— أعنى أن كل مالدينا من معلومات لا يتجاوز معرفتنا بوسيلة الوصول إلى تلك الأرض المجهولة ،

وإدراكنا للتأثير الرهيب للأسلحة الخفيفة ، التى يستخدمها أفرادها ، وأحب أن أذكرك أن أسلحة الأفراد هذه كانت تمتلك قوة تدميرية عنيفة ، لاقبل لنا بها ، مما يؤكد أن تأثير أسلحتهم الثقيلة قد يفوق بعشرات المرات تأثير أقوى أسلحتنا المعروفة .

لوّح وزير الدفاع بيده فى عنف ، قائلا :

— هراء .. لقد درسنا هذا الاحتمال أيضا ، وتوصلنا إلى أن تلك الأسلحة الصاعقة ، التى كان يحملها الأفراد ، هى أقوى ما يمتلكه شعب الأرض المفقودة هذا .

تبادل الدكتور (ناظم) والقائد الأعلى نظرة دهشة ، قبل أن يقول الأوّل :

— وكيف يمكنكم الجزم بهذا ؟

أشار وزير الدفاع بيده ، وهو يقول :

— سأطرح عليكما سؤالا واحدا ، وستجيب بنفسك عن سؤالك .. أخبرانى بالله عليكما .. لو أن هؤلاء القوم، الذين يختفون فى زمن آخر، أو فى بعد آخر ، يمتلكون قوة هائلة كما تتصوران ، وميولهم عدوانية فى وضوح ، كما رأينا جميعا ، فما الذى منعهم من السعى لاحتلالنا ، منذ زمن طويل ؟

كان وزير الدفاع يلقى سؤاله هذا بكل ثقة ، متوقعا

أن يتراجع القائد الأعلى والدكتور (ناظم) عن رأيهما ، فور التفكير فى إجابته ، ولكنه فوجئ بالأول يقول فى حزم :

ـ ولهذا بالذات نحتاج إلى معلومات كافية أولاً .

هتف وزير الدفاع :

ـ ماذا تقول ؟

أكمل القائد الأعلى فى انفعال :

ـ أقول : إن هذا هو الغرض الرئيسى لعملنا يا سيادة وزير الدفاع .. أن نجمع من المعلومات ما يكفى لإجابة مثل هذه الأسئلة ، قبل الإقدام على أية خطوة حاسمة ، ولقد أدينا واجبنا فى هذا الشأن ، واثنان من أفضل رجالنا الآن فى قلب الأرض المفقودة ، مجازفين بحياتهما نفسها ، لجمع المعلومات المطلوبة ، ومن الخطأ الإقدام على أى إجراء عنيف كهذا ، قبل عودتهما إلينا .

قال وزير الدفاع فى صرامة :

ـ هذا لو عادا .

هتف الدكتور (ناظم) :

ـ لابد أن ننتظر .

هزَّ وزير الدفاع رأسه نفيًا ، وقال :

ـ خطأ أيها السادة .. خطأ .. أنا واثق من أنكم تتصورون أنكم الوحيدون الذين يفكرون بعقل ومنطق ، والذين يتحركون دائمًا فى دقة وحذر ، ويدرسون مواقع أقدامهم قبل كل خطوة ، وأننا نحن رجال الجيش ، نتصرف دائمًا فى عشوائية وعنف ، ونميل إلى القتال والتدمير ، بدلاً من التعقل والتروى ، ويؤسفنى أن أخبركم أنكم على خطأ أيها السادة .. نحن أيضًا لدينا القدرة على التفكير والتخطيط ، ودراسة الأمور من كل الوجهات .. ونحن أيضًا لدينا من يمكنهم تصور ما يحمله المستقبل ، ومناقشته بكل احتمالاته .. ولقد درسنا الموقف كله منذ بدايته ، وراجعنا كل ما منحتمونا إياه من معلومات ، نقدم لكم جزيل الشكر عنها ، ولكننا اختلفنا عنكم فى نقطة أساسية ..

وشدّ قامته ، مستطردًا فى حزم :

ـ لقد قررنا التفكير من منظور العدو .

غمغم الدكتور (ناظم) مستنكرًا :

ـ العدو ؟!.

مطّ وزير الدفاع شفتيه ، ولوّح بكفه ، قائلاً :

— أعني شعب تلك الأرض المفقودة .. إننا لانجد في الواقع فارقًا بين المسميين .. المهم أننا سألنا أنفسنا .. ماذا لو أننا فوجئنا بغريبين يتوصلان إلى بوابة الدخول إلى عالمنا ؟!.. ماذا لو أنهما يعرفان موقعها بالتحديد ، ووسيلة عبورهما إليها ؟.. ليس هذا فحسب ، ولكنهما ينتميان أيضًا إلى جهاز أمني خاص ، يتصل مباشرة بكل الأنظمة والجهات الأمنية في عالمهما .. ترى هل نقف ساكنين ، مكتوفي الأيدي ، في انتظار ما سيسفر عنه هذا ؟.. كلا بالطبع .. سندرك على الفور أن سرنا قد انكشف ، وأن الطريق إلى أرضنا أصبح مفتوحًا ، وأنه من المحتم علينا أن نقاتل للحفاظ على وجودنا ، أو نسارع بتغيير موقع وذبذبة بوابتنا .

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :

— والأمر في الحالتين بالغ الخطورة بالطبع ، ففي الحالة الأولى سيكون زمام المبادرة في أيديهم ، وسيمتلكون المفاجأة ، وسيباغتوننا بغزوهم ، مما سيكبدنا حتمًا الكثير من الخسائر ، ويجعل فرصتنا في الفوز أو النجاة واهية ضعيفة .. وفي الحالة الثانية سنفقد مالدينا من معلومات رئيسية ، وقد لا نتوصل بعدها لموقع وذبذبة البوابة الثانية قط ، مما يضعفنا تحت تهديد

دائم بالغزو من عالم مجهول ، أصبحنا نجهل كل شيء عنه .

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يدير عينيه في وجهي الرجلين ، قبل أن يقول في هدوء ، يحمل رنة ظفر واضحة :

— هل أدركتما الآن أننا على حق ؟

كان منطقه صحيحًا وسليمًا إلى حد كبير ، حتى أن أحدهما لم يعترض ، وإن ران عليهما صمت كئيب ، قطعه الدكتور (ناظم) في أسى :

— وماذا عن (نور) و(أكرم) ؟!.. لا ريب في أن هؤلاء القوم سيسحقونهما سحقًا ، إذا ما شعروا باستعداداتنا لاقتحام عالمهم .

هزّ وزير الدفاع كتفيه ، وقال :

— هل تطالبني بالتضحية بعالم بأكمله ، في سبيل رجلين ؟

ثم مال نحوه ، مستطردًا في حزم :

— ولا تنس أنه لو كان المقدّم (نور) نفسه في مكاني ، لما اتخذ قرارًا مخالفًا .. أليس كذلك ؟

قالها ، ووضع غطاء رأسه الرسمي ، وهو يؤدي



جلس الإمبراطور (فولار) على عرشه في مهابة ، وهو يتطلّع إلى (نور) و (أكرم) في صمت ..

تحية عسكرية آلية ، قائلاً :

– الوداع أيها السيدان .. سنحتفل معًا بالنصر قريبًا .
وغادر المكان دون أن يضيف حرفًا واحدًا ..

* * *

جلس الإمبراطور (فولار) على عرشه في مهابة ، وهو يتطلّع إلى (نور) و(أكرم) في صمت ، ويتفحصهما بنظراته الصارمة ، في حين أخذ الساحر (ميتشا) يدور حولهما في رتابة ، أثارت أعصاب (أكرم) ، فقال في حدة :

– حسن .. كم سيستغرق هذا العبث ؟

توقّف الساحر بغتة ، وحدّق فيه بنظرة عجيبة ، ثم أدار عينيه إلى الإمبراطور ، ونطق عبارة ما ، بتلك اللغة الغريبة ، فمطّ الإمبراطور شفتيه ، وأشار له إشارة خاصة ، عاد الساحر بعدها يلتفت إلى (أكرم) ، وقال بلغة عربية سليمة :

– لا تفقد أعصابك بسرعة يا رجل .. إننا لم نبدأ استجوابنا بعد .

أجابه (أكرم) في عصبية :

– حقًا ؟!. ومتى سيبدأ هذا ؟. بعد عام أم عامين ؟!

اندفع (ليدر) نحوه من الخلف ولكمه فى كتفه بقوة ، قائلا فى صرامة :

ـ أجب فى احترام .

دفعت اللكمة (أكرم) إلى الأمام فى عنف ، حتى كاد يسقط على وجهه ، لولا أن سيطر على توازنه ، واستدار إلى (ليدر) فى غضب ، وهو يضمّ قبضته ، فصاح به (نور) :

ـ رويدك .. رويدك يا (أكرم) .. إنه يحاول استفزازنا ، فلا تسمح له بهذا ؟

قال (أكرم) فى غضب :

ـ هناك وسيلة لمنعه من استفزازنا يا (نور) .

ثم أضاف فى حدة ، وهو يلوّح بقبضته :

ـ أن أقتله .

انعقد حاجبا (ليدر) فى شدة ، وبدا عليه التحفّز ، فأمسك (نور) قبضة (أكرم) ، وقال فى حزم :

ـ كلا .. إننا لم نأت هنا لنقاتل .

قال الإمبراطور فى حزم :

ـ حقًا ؟!.. لماذا أتيتما إذن ؟

كانت أول عبارة ينطقها الإمبراطور ، وقد نطقها بعربية سليمة للغاية ، فالتفت إليه (نور) و(أكرم)

فى دهشة ، وقال الأول بسرعة :

ـ للمعرفة أيها الإمبراطور .

سأله الساحر فى اهتمام :

ـ أى نوع من المعرفة ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ معرفة السبب ، الذى حدا بكم لمهاجمة عالمنا على هذا النحو .

صمت الإمبراطور فى صرامة ، وتبادل نظرة طويلة مع الساحر ، قبل أن يقول :

ـ موقفكما عجيب بالفعل .. المفروض أن تجيبا أسئلتنا ، لا أن نجيب أسئلتكما .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ أنا رهن إشارة مولاى الإمبراطور .. سأجيب كل ما يطرحه من أسئلة .

اعتدل الإمبراطور على عرشه ، وسأله :

ـ هل المعرفة التى تنشدانها لأغراض عسكرية أم أمنية ؟

أجابه (نور) :

ـ لأغراض أمنية بحتة يا مولاى الإمبراطور ،

فاختفاء الدكتور (حسن) ، ثم عودته المباغتة ، وما ارتبط بها من أحداث عنيفة ، كلها جعلتنا نشعر بالقلق على سلامتنا وأمننا ، وكل ما ننشده هو الحصول على تفسير للموقف .

تبادل الإمبراطور والساحر حديثًا قصيرًا بلغتهما ، قبل أن يقول الساحر بالعربية :

ـ إننا لم نقصد شرًا بالدكتور (حسن) .. لقد جاء إلينا بإرادته .. إنه لم يتصرف مثلكما ، ولم يجد وسيلة لفتح بوابتنا عنوة .. كل ما فعله هو أن وقف فى موقع البوابة بالضبط ، وراح يناشدنا أن نستقبله .

غمغم (أكرم) فى دهشة :

ـ يناشدكم ؟!

أومأ الساحر برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. يناشدنا .. ومازلت أذكر عباراته بالتحديد .. اسمحوا لى بعبور البوابة .. إننى أبحث عنكم منذ سنوات عديدة .. اسمحوا لى بمقابلتكم .

وتنهد ، قبل أن يستطرد :

ـ كانت المرة الأولى ، فى تاريخنا كله ، التى يحدث فيها هذا ، لذا فقد اتخذ مولاى الإمبراطور قرارًا

تاريخيًا شجاعًا ، بالسماح له بالدخول ، وما إن هبط الظلام ، حتى فتحنا أمامه بوابتنا ، وأدخلناه إلى عالمنا .. والواقع أن الرجل كان مبهورًا بما حدث ، ومشدوهًا بكل ما يراه ، وبلغت سعادته أوجها كعالم آثار ، عثر بعد كفاح طويل على ما يبحث عنه ، ولقد سمح له مولانا الإمبراطور بالتجوال كيفما شاء فى (لانتس) ، ودراستها من كل الأوجه ، و..

قاطعه (ليدر) فى صرامة غاضبة :

ـ وهرب .

رمقه الإمبراطور بنظرة قاسية ، وحدجه الساحر بنظرة صارمة ، ثم تابع وكأنه لم يسمعه :

ـ كنا نتصور أننا نستطيع إقناع الدكتور (حسن) بالبقاء هنا إلى الأبد ، عندما نوفر له كل الإمكانات ، وكل سبل العيش الرغد ، ونمنحه حرية البحث والدراسة ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بالحنين لعالمه ، وخطط للعودة إليه .

غمغم (أكرم) ، فى سخرية عصبية :

ـ آه .. نفس النظرية القديمة ، حول العصفور المغرد والقفص الذهبى .

قال (ليدر) فى صرامة :

— اصمت .

أما الساحر ، فهز رأسه فى أسف ، وقال :

— نعم .. يمكنك أن تقول هذا .. إنها نفس القصة القديمة ، حول العصفور المغرد الذى اصطاده شخص ما ، ووضعه فى قفص من الذهب ، ليستمتع بغنائه ، إلا أنه توقف عن الغناء طوال بقائه فى القفص ، وعاد يغرد بعد فراره منه .

قال (ليدر) فى صرامة :

— كان المفروض أن نقتله من البداية .

تجاهل (نور) هذه العبارة ، وهو يقول :

— ولكنكم طاردتموه فى عالمه ، ودمرتم الكثير من الأرواح والأشياء ، في سبيل محو أثره وأثركم .

عقد الإمبراطور حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— كان من الضرورى أن نحافظ على سرنا ، الذى لم ينكشف منذ قرون وقرون ، وعلى بوابة الدخول إلى عالمنا ، التى منحها الغرباء طاقة هائلة ، لن يمكننا توليد مثلها قط .

تفجرت الكلمات فى عقل (نور) ..

الغرباء ..

طاقة لن يمكننا توليد مثلها قط ..

كان هذا يعنى الكثير ..

الكثير جدًا ..

وفى توتر ، هتف الساحر :

— مولاى .. هذا تاريخنا .

أطبق الإمبراطور شفتيه بسرعة ، وهو يحدق فى وجه (نور) ، الذى أطل منه فضول هائل ، ولكن (ليدر) اندفع يقول فجأة :

— وماذا فى هذا يا(ميتشا) ؟.. دعهما يعرفان كيف نشأت الأمور .

ثم تحرك عاقدًا ساعديه خلف ظهره ، وهو يتطلع إلى (نور) و(أكرم) ، قائلاً :

— لقد حدث هذا منذ عدة قرون ، لا يهمكما معرفة عددها بالضبط .

انعقد حاجبا الإمبراطور فى شدة ، فى حين هتف الساحر :

— (ليدر) .. ماذا تفعل ؟

ولكن القائد تجاهل الهتاف تمامًا ، وهو يتابع فى برود :

– لقد استقر المقام بشعبنا هنا ، فى الصحراء ، وفى المنطقة التى تطلقون عليها اسم بحر الرمال الأعظم ، وكان من الممكن أن نبقى هنا إلى الأبد ، لولا هؤلاء الغرباء ، القادمون من وراء النجوم .

ازداد انعقاد حاجبى الإمبراطور ، وهو يقول فى صرامة :

– إنه تاريخنا يا (ليدر) .

إلا أن (ليدر) تجاهل قول الإمبراطور أيضًا ، وهو يتابع :

– التاريخ يقول : إنهم هبطوا من السماء على إمبراطورنا ، وشرحوا له كيف أنهم يراقبون شعبنا منذ سنوات عديدة ، ويشفقون عليه من التعايش مع شعوب عدوانية همجية ، قد تستغل قلة عدد الناجين منه ، فتهاجمه فى شراسة ، وتبيده عن آخره .. وبعد مناقشات طويلة ، اقتنع إمبراطورنا برأى الغرباء ، الذين صنعوا هذه البوّابة المقدّسة ، ونقلوا شعبنا إلى ذلك العالم الجديد .

قال (أكرم) فى اهتمام :

– إلى بُعد آخر .

صاح الإمبراطور :

– كفى يا (ليدر) .. تاريخنا ملك لنا وحدنا .

استدار إليه (ليدر) فى برود ، وهو يقول :

– معذرة يا مولاى ، ولكنهما هنا .. ماذا يضير إذن لو عرفا ؟

ثم عاد يلتفت إلى (نور) و(أكرم) ، قائلا :

– عالمنا ليس فى بعد آخر كما تتصوران .. إنه فى فجوة بين الأبعاد .. فجوة محدودة بتلك البوّابة المقدّسة ، وبطاقة لا تنضب تقريبًا ، تعمل بوساطتها البوّابة ، والأسلحة ، ووسائل الإضاءة فى عالمنا .

قال (نور) فى بطء :

– إذن فعالمكم كله يعتمد على تلك الطاقة .

أجابه (ليدر) فى هدوء :

– بالطبع .. ولكن البوّابة لها مصدر طاقة خاص ، يرتبط بلوحة الأزرار ، و ..

وهنا صرخ الساحر :

– كلا يا (ليدر) .. لقد تجاوزت حدودك بالفعل .

وهتف الإمبراطور :

– هل جننت يا (ليدر) ؟.. إنك تكشف لهما أسرارنا كلها .

تألقت عينا (ليدر) فى خبث شديد ، وهو يلتفت إلى الإمبراطور فى بطء ، قائلا :

ـ آه .. كيف لم أنتبه إلى هذا .. لقد عرفا كل أسرارنا بالفعل ، ولم يعد هناك سوى حل واحد لتفادى الخطر .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وقد أدرك لعبة (ليدر) ، فى حين تمتم (نور) فى توتر :

ـ يا له من شيطان !

نطقها و(ليدر) يضيف فى صرامة :

ـ أن نقتلهما ... والآن .

احتقن وجه الإمبراطور ، وامتلأت ملامحه بالغضب ، فى حين قال الساحر فى حدة :

ـ أنت كتلة من الدهاء يا(ليدر) .. لقد فعلت هذا متعمّدًا .

هزّ (ليدر) كتفيه ، وقال :

ـ فليكن .. لقد فعلته متعمّدًا .. وماذا فى هذا ؟.. المهم أن هذين الغريبين يعرفان الآن أدقّ أسرارنا ، ولم يعد أمامنا سوى قتلهما .

صاح الإمبرطور :

ـ كفى يا (ليدر) .

رمقه (ليدر) بنظرة باردة ، قبل أن ينحنى قائلاً :

ـ كما يأمر مولاى .

وتراجع إلى مؤخرة القاعة ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها أحد رجاله ، وراح يهمس فى أذنه بكلمات ما ، والإمبرطور يقول :

ـ يبدو أن (ليدر) على حق .. لم يعد أمامنا سوى هذا .

هتف (نور) :

ـ مولاى الإمبراطور .. لقد أتينا إلى هنا فى سلام .

انطلق من خلفه صوت صارم غاضب ، يهتف :

ـ كاذب .

ثم اندفع (ليدر) نحو العرش الإمبراطورى ، وهو يشير إلى (نور) و (أكرم) هاتفًا :

ـ إنهما لم يأتيا إلينا فى سلام كما يدعيان ، ففى هذه اللحظة بالتحديد ، يحتشد جيش كامل فى الصحراء .. جيش يستعد لغزونا .

وكانت مفاجأة مذهلة ..

للجميع .

* * *

١١ ـ انقلاب ..

ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، وهى تستقبل (مشيرة) فى منزلها ، ولكن هذا لم يمنعها من حسن استقبالها ، وهى تقول :

ـ مرحبًا يا (مشيرة) .. أهلاً بك فى منزلى .. تفضلى .

اندفعت (مشيرة) داخل المنزل ، قائلة فى انفعال :

ـ هناك شىء يحدث .

رددت (سلوى) فى قلق :

ـ شىء يحدث ؟!

لوّحت (مشيرة) بيدها ، قائلة :

ـ بالتأكيد .. المعلومات التى تجمّعت لدى ، من مصادرى المختلفة ، تؤكّد أنه هناك شىء ما .. مراسلنا فى مصلحة الرصد أشار إلى التقاط انبعاث إشعاعى هائل ، من منطقة بحر الرمال الأعظم ، فى الصحراء الغربية ، وأحد مراسلينا فى وزارة الدفاع أكّد وجود استعدادات ضخمة ، كما لو أننا مقبلون على حرب جديدة ، ومراقب صحفى التقط بعض الصور للطائرات

والدبابات ، التى يتم شحنها بناقلات المعدات الضخمة إلى الصحراء ، ولو أضفنا إلى هذا غياب (نور) و(أكرم) ، يصبح من المؤكّد أن هناك شيئًا ضخمًا يحدث .

نجحت كلماتها فى بث الذعر فى قلب (سلوى) ، التى جلست على أقرب مقعد إليها وهى تسأل :

ـ مثل ماذا ؟

هزّت (مشيرة) رأسها ، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ـ ليتنى أعرف .

ثم تطلّعت إلى عينى (سلوى) مباشرة ، مستطردة :

ـ تصوّرت أننى سأجد لديك الجواب .

هتفت (سلوى) :

ـ لدى أنا ؟!

أجابتها (مشيرة) بسرعة :

ـ بالطبع .. أنت زوجة (نور) ، ومن المؤكّد أنه يخبرك بكل شىء .

قالت (سلوى) فى حزم :

ـ إلا أسرار عمله .

تراجعت (مشيرة) ، قائلة فى مرارة :
ـ ولكن هذا كفيل بقتلى .
حاولت (سلوى) السيطرة على أعصابها ، وهى تقول :
ـ لست أدرى ماذا أصابك فى الآونة الأخيرة ؟!.. المفروض أن تعتادى هذا الأمر ، مادمت زوجة لرجل يعمل فى المخابرات العلمية .
قالت (مشيرة) فى حدة :
ـ لقد حاولت .
ثم انخفض صوتها ، وبدا أقرب إلى البكاء ، وهى تضيف :
ـ وفشلت .
تطلّعت (سلوى) فى إشفاق إلى تلك الدموع ، التى ترقرقت فى عينى (مشيرة) ، ثم اقتربت منها فى تعاطف ، وأحاطت كتفيها بذراعها ، متمتمة :
ـ سيعودان بإذن الله .
لم تنطق (مشيرة) بحرف واحد ، وإنما تركت دموعها تغرق وجهها ، وقلبها يرتجف بين ضلوعها ، والمخاوف تتصاعد فى أعماقها ، وتصرخ بأنها لن ترى زوجها (أكرم) ثانية ..
لن تراه أبدًا ..

* * *

« مستحيل .. » .
هتف (نور) بالكلمة فى توتر بالغ ، فاستدار إليه (ليدر) ، وصاح فى غضب :
ـ كاذب .. لاتحاول التظاهر بأن هذا قد أدهشك .. لقد كنت تعلم أنهم سيأتون خلفك ... كنت تعلم أن قدومك إلى هنا مجرّد بداية .
اندفع (أكرم) يقول فى عصبية :
ـ لا تحاول أنت التظاهر بالذكاء .. إننا لم نكن نعرف أنهم سيفعلون هذا حقًا .
صرخ (ليدر) :
ـ كاذب .. أنت أيضًا كاذب حقير .
ثم انتزع كرة أرجوانية من حزامه ، وصوّبها إليه فى غضب ، ولكن الإمبراطور صاح :
ـ كفى يا (ليدر) .. إننى لم أصدر أوامرى فى هذا الشأن بعد .
التفت إليه (ليدر) ، وقال فى ثورة :
ـ ومتى تصدرها يا إمبراطورنا العظيم ؟.. متى ؟!.. بعد أن تحتل جيوشهم عالمنا ، ونصبح عبيدًا لهم ؟!
هتف (نور) :
ـ لم يعد هناك عبيد .

ولكن (ليدر) تجاهله تماما ، وهو يلوّح بيده ، قائلا :

ـ اشعل شاشتك أيها الإمبراطور ، وانظر كيف حاصروا موقع بوّابتنا المقدّسة .

انعقد حاجبا الإمبراطور في شدة ، ودار بعرشه ، والشاشة الكبيرة من خلفه تضيء ، وتنقل صورة ما يحدث في عالمنا ..

وغمغم (أكرم) :

ـ لقد فعلوها يا (نور) .

كانت الشاشة تنقل بالفعل صورة لعشرات الحوّامات ، والمدرعات ، والطائرات المقاتلة ، وجنود المشاة ، الذين يحاصرون المنطقة ، والساحر يقول :

ـ إنه أكبر خطر تعرّض له عالمنا يا مولاى ، عبر تاريخه الطويل .

قال الإمبراطور في توتر :

ـ إننا نستطيع الدفاع عن عالمنا ، وسحق أى هجوم عليه .

هتف (ليدر) فى حنق :

ـ خطأ ... الدفاع نظرية خاطئة .. إننى أؤمن تماما بأن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع .

تمتم (أكرم) :

ـ إنه يؤمن بنظرية (نابليون بونابرت) (*) .

أشار إليه (نور) بالصمت ، وهو يستمع إلى الإمبراطور ، الذى يجيب فى حدة :

ـ أنت تعلم أننا لا نستطيع مهاجمتهم الآن .

أثارت العبارة ذهن (نور) هذه المرة أيضًا ..

لماذا لا يستطيعون الهجوم الآن ؟!..

وما المقصود بكلمة (الآن) هذه ؟!..

هل تعنى هذا الوقت من السنة ، أم هذه الفترة من تاريخ (لانتس) ؟!..

وكاد لسانه يفلت بالسؤال ، و(ليدر) يجيب غاضبًا :

ـ هذه المشكلة تواجهنا منذ زمن طويل ، ولقد اقترحت عدة وسائل للتغلّب عليها ، ولكن مولانا الإمبراطور العظيم كان يتجاهل تقاريرى عامدا متعمدًا .

(*) نابليون بونابرت : (١٧٦٩ ـ ١٨٢١م) إمبراطور : (فرنسا)، ولد فى (كورسيكا) ، وتخرّج ضابطًا للمدفعية فى (فرنسا) ، عين قائدًا للحملة الإيطالية (١٧٩٦ ـ ١٧٩٧م) ، ثم قاد الحملة الفرنسية على (مصر) (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) ، وفقد أسطوله فى معركة (أبى قير) وعاد إلى (فرنسا) ليسقط حكومة الإدارة ، ويقيم القنصلية ، ثم أعلن نفسه إمبراطورًا عام (١٨٠٤م) ، وانهزم فى معركة (واترلو) عام (١٨١٥م) ، وتم نفيه إلى جزيرة (سانت هيلانة) حتى مات هناك .

صاح الساحر فى غضب :
ـ (ليدر) .. إنك تتجاوز كل الحدود والتقاليد ، ويدهشنى أن يبلغ صبر مولاى هذا الحد معك .
هتف الإمبراطور فى صرامة :
ـ صبر مولاك بلغ نهايته يا (ميتشا) .
انعقد حاجبا (ليدر) ، وهو يقول فى حدة :
ـ ما الذى يعنيه هذا ؟
أجابه الإمبراطور فى صرامة :
ـ يعنى أنك لم تعد تصلح لمنصب قائد الأمن يا(ليدر).
ثم اعتدل فى مجلسه ، مضيفًا فى حزم :
ـ لذا فأنا أعفيك من منصبك هذا .
تراجع (ليدر) كالمصعوق ، ثم انعقد حاجباه فى غضب هائل ، وهو يقول :
ـ تعفينى من منصبى ؟!.. وفى موقف كهذا ؟!
أشار إليه الإمبراطور بيده ، قائلاً فى صرامة :
ـ إنك لم تترك لى الخيار يا (ليدر) .
تقافزت شياطين الغضب كلها فى وجه (ليدر) ، وهو يقول :
ـ أنت أيضًا لم تترك لى الخيار يا مولاى الإمبراطور.
فهم (نور) و(أكرم) ما يعنيه هذا القول ، فور

نطق (ليدر) له ، أما الإمبراطور ، فقد انعقد حاجباه ، وهو يتساءل عن المعنى المقصود ، فى حين هتف الساحر :
ـ ماذا تقصد يا (ليدر) ؟
ولم يحر (ليدر) جوابًا ..
كل ما فعله هو أن رفع الكرة الأرجوانية نحو الإمبراطور (فولار) ، و ...
وضغط جانبيها ..
وانطلقت الصاعقة ..

* * *

فى نفس اللحظة ، التى رفع فيها (ليدر) كرته نحو الإمبراطور ، اندفع (أكرم) ، هاتفًا :
ـ إنه سيفعلها .
وبوثبة رشيقة ، انقضّ على (ليدر) ، الذى اختلّ توازنه ، وهو يضغط جانبى الكرة الأرجوانية ..
وانطلقت الصاعقة بالفعل ..
ولكنها لم تصب الإمبراطور ..
لقد أصابت الأرض ، على مسافة مترين من عرشه الزجاجى ، وانفجرت بدوى هائل ، ألقى الإمبراطور خارج عرشه ، ونسف العرش نفسه مع الارتجاج العنيف ..

وفى ذهول ، هتف الإمبراطور :
ـ (ليدر) .. أنت خائن .
ولكـن (ليـدر) استـدار فى سرعة ، وانحنى متفاديًا لكمة قوية ، وجهها إليه (أكرم) الذى هتف :
ـ كم أتمنى فعل هذا منذ وصلنا إلى هنا .
وفى مرونة شديدة ، وثب (ليدر) جانبًا ، وركل (أكرم) فى معدته ، قائلاً فى غضب صارم :
ـ من المؤسف أنك لن تفعله .
والتقط كرتـه الأرجوانيــة مـرة أخـرى ، و (نـور) ينقض عليه ، قائلاً :
ـ يمكننى أن أنوب عنه بفعلها ، فنحن فريق واحد .
وقفز يضرب (ليدر) بقدمه فى صدره ، فتراجع فى عنف ، إلا أنه لم يسقط أرضًا ، وإنما صوب الكرة إليه ، هاتفًا :
ـ فليكن .. اذهبا إلى الجحيم معًا إذن كفريق .
وضغط جانب الكرة فى غضب ..
وعلى الرغم من أن (نور) وثب جانبًا بكل قوتـه ، إلا أنه شعر بالطاقة الهائلة للصاعقة تطيح به فى عنف ، وهى تمرق إلى جواره ، وتنفجر ممزقة ثلاثة من رجال الحرس الإمبراطورى ..

وفى ثورة ، هتف الإمبراطور :
ـ (ليدر) خائن .. أوقفوه .
التفت إليه (ليدر) قائلا فى غضب ، وهو يصوب إليه الكرة :
ـ بل أنت إمبراطـور متخـاذل ، لا يستحـق عرش (لانتس) .
تراجع الإمبراطور فى ذعر ، وتحرك (أكرم) نحو (ليدر) ، إلا أن الساحر (ميتشا) اندفـع إلى الأمـام ، هاتفا :
ـ ليس الإمبراطور .
وبحركـة سريعة من يده ، أشبه بحركات الحواة ، انفجر شىء ما فى القاعة ، بين (ليدر) والإمبراطور ، وانتشـرت منـه بسرعة سحابة سوداء كبيرة ، فهتـف (ليدر) بلغته :
ـ اللعنة !
وضغط جانبى الكرة ..
وانطلقت الصاعقة الرهيبة مرة أخرى ..
وانفجرت فى مكان ما ..
ولم يكـد ضوء انفجارها يتلاشـى ، حتى ساد ظلام رهيب فى المكـان ، مع رائحـة أشبه برائحة الكبريت ،

وتعالى وقع أقدام تعدو فى كل مكان ، مع صوت الساحر ، وهو يهتف :

ـ المخرج الاحتياطى يا مولاى .. المخرج الاحتياطى .

وشعر (أكرم) بالارتباك والتوتر ، مع الظلام الدامس . وغمغم :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟.. ما الذى فعله ذلك الساحر السخيف ؟

أمسكت يد قوية بمعصمه ، فى هذه اللحظة ، فاستدار فى توتر شديد ، يعتزم لكم صاحبها ، إلا أنه سمع صوت (نور) ، يقول فى خفوت حازم :

ـ تعال معى .

كان الأمر يحنقه ، إلا أنه ترك (نور) يقوده عبر سحب الدخان الأسود ، حتى وجد نفسه فجأة خارج القاعة الإمبراطورية ، فهتف :

ـ كيف فعلت هذا ؟

أشار (نور) إلى حزامه ، قائلاً :

ـ (ج ـ ٣) قادنى إلى الخارج .

سأله فى دهشة ، وهو يعدو إلى جواره ، عبر الممر الطويل ، الممتد أمام القاعة :

ـ ما (ج ـ ٣) هذا ؟

أجابه (نور) :

ـ إنه الجزء الآخر من الجاسوس الإليكترونى الصغير .. الجزء الذى تنتقل إليه كل المعلومات ، التى يحصل عليها الجاسوس الإليكترونى الصغير ، عبر نبضات منتظمة ، يطلقها الجاسوس طوال عمله .

هتفت (أكرم) :

ـ ربَّاه !.. أتعنى أن تحطيم ذلك الجاسوس الصغير لم يفقدنا معلوماته ؟!

أشار (نور) إلى حزامه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ مطلقا .. كلها كانت تختزن هنا أولاً فأولا .

هتف (أكرم) فى ارتياح :

ـ عظيم .. هذا يعنى أننا ..

قبل أن يتم عبارته ، برز فجأة أربعة من حراس القصر الإمبراطورى ، عند نهاية الممر ، واتسعت عيونهم فى دهشة ، عندما وقع بصرهم على (نور) و(أكرم) ، وهتف قائدهم بعبارة ما ، فرفع كل منهم بندقيته الصغيرة ، ذات الكرة الأرجوانية إلى بطنينا و..

وبلغ الخطر ذروته ..

* * *

عبر الإمبراطور مخرج الطوارئ فى قاعته الإمبراطورية ، وسط الظلام الدامس ، ولحق به الساحر ، وأغلق المخرج خلفهما ، وهو يقول :

– (ليدر) خائن يا مولاى .

أجابه الإمبراطور ، وهو يتحرك بسرعة داخل نفق الهروب ، الموازى لجدران القاعة والممر الملحق بها :

– كان ينبغى أن نتوقع هذا .. إنه مجنون .. مجنون خطير .. كان المفروض أن أعزله من منصبه منذ زمن طويل .

قال الساحر ، وهو يسير إلى جواره لاهثًا :

– المشكلة أنه يعرف كل أسرار الإمبراطورية يا مولاى ، ووجوده مطلق السراح يمثل خطورة بالغة .

أجابه الإمبراطور فى سخط :

– وجود شخص مختل العقل مثله ، على رأس جهاز الأمن ، خطأ بشع يا (ميتشا) ، ولكننى لن أسمح باستمرار هذا .. سأنطلق على الفور إلى قاعة الاجتماعات الكبرى ، وأعلن أننى عزلته من منصبه ، وسأطالب الجميع بالبحث عنه وقتله ، و...

اعترضهما (ليدر) بغتة ، عبر ممر جانبى ، وهو يقول فى صرامة :

– لن تجد الفرصة لهذا يا مولاى الإمبراطور .. سابقًا .

شهق الإمبراطور فى فزع ، وهتف الساحر :

– (ليدر) ؟!.. من أين أتيت ؟!

أجابه (ليدر) ، ساخرًا ، وهو يصوب إليهما كرته الأرجوانية :

– يبدو أن دجال الإمبراطورية نسى أننى قائد الأمن ، وأننى أعرف كل ممرات الهروب السرية .. بل إننى الوحيد ، بخلافك أنت والإمبراطور ، الذى يعرف سر بوابة الطوارئ الصغيرة ، التى يمكننا تشغيلها للضرورة القصوى .

هتف الإمبراطور :

– ما تفعله يعد خيانة يا (ليدر) ، وخاصة فى زمن الحرب .

قهقه (ليدر) ضاحكًا فى جنون ، وهو يقول :

– الحرب ؟!.. إذن فقد اقتنع مولاى بأننا فى زمن الحرب .

وهز رأسه ، وهو يستعيد صرامته بغتة ، مستطردًا :

– ولكن بعد فوات الأوان .

تراجع الإمبراطور فى عصبية ، وهتف الساحر :

– لا .. لا تفعل هذا يا (ليدر) .

ولكن حاجبا (ليدر) انعقدا فى شدة فوق عينيه الغائرتين المخيفتين ، اللتين أطل منهما تعبير رهيب ،

وهو يضغط جانبى الكرة ، قائلاً فى صرامة :

ـ الوداع يا مولاى الإمبراطور .

وضغط جانبى الكرة ..

وانطلقت الصاعقة ..

وكان الانفجار قويًا ..

وقاتلاً ..

* * *

لم يكد (أكرم) يلمح بنادق الصواعق ، المصوّبة إليه وإلى (نور) ، حتى أدرك أنه لا مهرب من الموت هذه المرة ..

وكم اشتاق لمسدسه التقليدى فى هذه اللحظة ..

كان يشعر بالحنق لتخليه عنه ، واضطراره لتسليمه إلى (ليدر) ..

وكان يتمنى لو عثر عليه فى هذه اللحظة ، وأطلق رصاصاته على هؤلاء ، الذين يصوبون إليه وإلى (نور) بنادق الصواعق ، و...

ودوى الانفجار ..

وانتفض جسد (أكرم) فى عنف ، وهو يتوقّع أن ينسحق جسده وجسد (نور)، بتأثير الصواعق الرهيبة . داخل ممر محدود ، لا مهرب منه ..

ولكن العجيب أن هذا لم يحدث ..

لقد دوى الانفجار عند الجدار ، وأطاح بالحرّاس الأربعة ، ليضربهم بالجدار فى عنف ، ويسقطهم فاقدى الوعى ، وسط أشلاء الإمبراطور والساحر ، اللذين مزقتهما صاعقة (ليدر) ، داخل نفق الهروب ، الموازى للممر ..

واتسعت عينا (أكرم) فى دهشة ، وهتف :

ـ ربّاه !.. إنها معجزة .

أما (نور) ، فقد شعر بانقباض عنيف فى أعماقه ، مع مشهد الأشلاء البشعة ، التى توسطها رأس الإمبراطور (فولار) ، ولكنه قاوم شعوره بكل قوته ، وانطلق نحو الحرّاس ، وانحنى يلتقط إحدى بنادقهم ، فلحق به (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ هل رأيت ما حدث ؟.. لقد تطلّع إلينا الموت فى شغف ، ولكن الحياة انتصرت لنا مرة أخرى .

لم يكد ينطقها ، حتى برز (ليدر) من الفجوة فى الجدار ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يطلق سبابًا ساخطًا بلغة (لانتس) ، ثم رفع الكرة الأرجوانية ، و..

ووثب (أكرم) يختطف إحدى بنادق الصواعق .

وصاح :



لم يكد ينطقها ، حتى برز (ليدر) من الفجوة فى الجدار ، وانعقد حاجباه فى شدة ..

— احترس يا (نور) .

اختفى (ليدر) بسرعة داخل النفق ، فى نفس اللحظة التى ضغط فيها (أكرم) كرة البندقية ..

وانطلقت الصاعقة تنفجر فى النفق ، وتنهار لها جدرانه ، و (نور) يهتف :

— كفى يا (أكرم) .

استدار إليه (أكرم) غاضبًا ، وهو يهتف :

— ماذا تريد يا (نور) ؟!.. هل سيتغلّب قلبك الرقيق على صوت العقل ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

— لا وقت لدى لمناقشة هذه الأمور ، فالموقف مشتعل فى الخارج ، وينبغى أن نمنع تلك الحرب قبل نشوبها .

ثم جذب أحد الحرّاس الفاقدى الوعى ، مستطردًا :

— هيّا .. سنبدل ثيابنا مع الحرّاس ، حتّى يمكننا التحرك داخل المدينة ، دون أن يعترضنا أحد ، إلى أن نبلغ البوابة .

سأله (أكرم) ، وهو يبدل ثيابه مع أحد الحرّاس فى سرعة :

— وماذا عن (ليدر) ؟

أجابه (نور) :

ـ يبدو أننا لم نصل إلى النهاية بعد يا (أكرم) ، فالسباق متصل بيننا وبين (ليدر) ، والفائز سيضع بصمته على بقعة كبيرة من التاريخ .

ثم أضاف فى حزم :

ـ وربما على التاريخ كله .. تاريخ كوكب الأرض .

وبدأت جولة جديدة من السباق ..

* * *

اشتعل الغضب فى أعماق (ليدر) ، حتى كاد يتفجر كالحمم من عينيه الثائرتين ، وهو يتحرك فى سرعة عبر أنفاق الهروب ، قائلاً :

ـ خطأ .. خطأ يمكن أن يودى بتاريخنا كله .. ذلك الإمبراطور اللعين كان يستحق القتل منذ زمن .. كان المفروض أن أقتله منذ سمح لذلك الأثرى بدخول عالمنا .

وانحرف إلى نفق فرعى ، مستطردًا فى غيظ :

ـ ولكنهم سيدفعون الثمن .. جميعهم سيدفعون الثمن.

قاده ذلك الممر الفرعى إلى باب من الصلب ، ضغط ذراعًا فى ركنه ، فانفتح فى بطء ، كاشفًا حجرة صغيرة ، تحوى عددًا من شاشات الرصد ، ولوحة أزرار كبيرة ، اندفع (ليدر) يجلس أمامها ، وهو يتابع فى صرامة :

ـ هؤلاء الأغبياء يجهلون أن أسلحتنا قادرة على سحقهم ، مهما بلغت قوتهم .

وضغط أحد الأزرار ، وهو يواجه آلة اتصال خاصة ، مستطردًا :

ـ ولا بد أن يعلم شعب (لانتس) هذا .. لابد أن يعلموا أن (ليدر) .. و (ليدر) وحده ، هو القادر على حمايتهم .

ومع ضغطته ، تألقت شاشة هائلة ، فى الفراغ الضخم ، فى قلب (لانتس) ، وظهرت عليها صورته ، وهو يقول :

ـ اسمعونى يا أهل (لانتس) .

كان (نور) و (أكرم) يسيران فى الساحة الكبيرة ، فى ثياب حراس القصر ، عندما تألقت تلك الشاشة ، وظهرت عليها صورة (ليدر) ، فأمسك (أكرم) يد (نور) فى قوة ، وهو يقول :

ـ انظر .

لم يكن أحدهما يفهم حديث (ليدر) ، ولكن الاهتمام والقلق الشديدين ، اللذين امتلأت بهما وجوه الجميع ، كانا إشارة لمعنى الحديث ، وخاصة عندما ظهرت صورة للحشود فى الصحراء ، واحتقن وجه (ليدر) ،

وهو يلوّح بقبضته فى غضب ، فقال (نور) متوترًا :

ـ أعتقد أنه يعدّ شيئًا خطيرًا .

لم يكد ينطقها ، حتى ضغط (ليدر) زرًا ما على الشاشة ، فنبتت صاعقة من الفراغ ، أمام الحشود المصرية ، وانطلقت تنسف ثلاث مدرعات فى آن واحد ، وخفق قلب (نور) بين ضلوعه فى عنف ، وهو يقول :

ـ سيسحقهم يا (أكرم) .. سيسحق جيشنا ..

ولم يجب (أكرم) ..

لقد أدرك أن (ليدر) قادر بصواعقه الرهيبة على سحق الجيش كله ..

ولكن ما الذى يمكنه أن يفعله ، ليوقف هذه المذبحة ؟!.

ما الذى يمكنه أن يفعله ؟!

* * *



١٢ ـ صواعق النصر ..

جلس وزير الدفاع يراقب شاشات الرصد فى اهتمام ، وهو يقول لأحد ضباطه فى حزم :

ـ المعلومات التى وصلتنا من المخابرات العلمية ، تقول : إن جهاز الذبذبة المتغيّرة مزوّد بذاكرة إليكترونية خاصة ، بحيث يسجّل الذبذبة المطلوبة لفتح البوّابة ، فى الوقت المحدود مسبقا ، وهو معد بحيث يعيد فتحها تلقائيًا ، بعد ساعة واحدة من الآن ، وعندما يحدث هذا ، سننقضّ مباشرة .

سأله أحد الضباط فى اهتمام :

ـ وهل ستظلّ مفتوحة لفترة كافية ، يمكننا السيطرة على الموقف خلالها ؟

مطّ الوزير شفتيه ، وهو يقول :

ـ الخبراء يقولون : إنها ستظلّ مفتوحة لدقيقة واحدة فحسب ، ولكننا سنستغل هذه الدقيقة لعبور كتيبة من رجال القوات الخاصة ، فى ثياب مضادة للأشعة والنيران ، ومسلحين بأحدث وأقوى الأسلحة ، وستكون مهمتهم هى العثور على وسيلة فتح البوّابة ، وتشغيلها ،

حتى يمكننا الهجوم بقواتنا كلها .

بدا القلق على وجه الضابط ، وهو يقول :

ـ ترى هل يمكنهم هذا ؟

عقد الوزير حاجبيه ، قائلاً :

ـ عليهم أن يبذلوا قصارى جهدهم .

بدا التردد القلق مرة أخرى على وجه الضابط ، وهو يقول :

ـ الواقع يا سيدى أن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى الانفجار على الشاشة ..

وفى ارتياع ، اعتدل وزير الدفاع ، واستدار ضابطه ، وحدقا معًا فى الشاشات ، التى نقلت صورة المدرعات الثلاث المسحوقة ، وهتف الوزير منزعجًا :

ـ لقد بدءوا الهجوم .

امتقع وجه وزير الدفاع ، وهو يهتف :

ـ ولكن كيف ؟!.. البوابة لم تفتح بعد !

ومع آخر حروف كلماته ، نبتت صاعقة أخرى من الفراغ ، ونسفت حوامتين متجاورتين ، واشتعلت فى بقاياهما النيران ، وهما تهويان فوق رمال الصحراء ..

وصاح الضابط :

ـ الصواعق تأتى من الفراغ يا سيدى .. سينهار

جيشنا ، قبل أن نواجه خصمنا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت صاعقة ثالثة ، وسحقت طائرة مقاتلة ، فهتف الوزير فى انزعاج شديد :

ـ مستحيل !.. إنهم يقاتلون من نقاط عديدة ، وبشكل عشوائى عنيف ، يصعب التصدّى له .

هتف الضابط فى توتر :

ـ الانسحاب يا سيادة الوزير .. مرهم بالانسحاب ، قبل أن نخسر الكثير من الرجال والعتاد .

كان وزير الدفاع يدرك أن الانسحاب هو أكثر القرارات حكمة بالفعل ، ولكن اتخاذ قرار به لم يكن بالأمر الهيّن ..

لم يكن كذلك أبدًا ..

أبدًا ..

* * *

شاهد (نور) ما يحدث على الشاشة الداخلية لمدينة (لانتس) ، فغمغم فى توتر :

ـ ربّاه !.. لقد بدأ (ليدر) هجومه .

التفت إليه (أكرم) ، قائلاً :

ـ ماذا يمكننا أن نفعل يا (نور) ؟

ألقى (نور) نظرة على ساعته ، وقال :

ـ جهاز (سلوى) سيعاود العمل بعد أربع وخمسين دقيقة من الآن ، ولدينا هذه الفترة ، لإيقاف هجوم (ليدر) .

سأله (أكرم) فى حماس :

ـ كيف ؟!

انتزع (نور) من حزامه منظارًا بسيطًا ، وضعه على عينيه ، وجذب من طرفه سلكًا رفيعًا ، أوصله بجسم صغير فى حزامه ، قائلًا :

ـ (ج ـ ٣) سيقودنا .

لم يكد يضغط (ج ـ ٣) فى حزامه ، حتى تحوّل منظاره البسيط فجأة إلى شاشة كمبيوتر خاصة ، فوقها كرة حمراء هلامية ، تنطلق إلى الأمام ، متخذة مسارًا خاصًا ، تبعه (نور) قائلًا :

ـ اتبعنى يا (أكرم) .

ثم هتف :

ـ قدنا إلى منبع طاقة التسليح يا (ج ـ ٣) .

حوّل الكمبيوتر الدقيق هتافه إلى أمر مباشر ، وراح يتبع الخريطة التى تم تخزينها مسبقًا ، ويقود (نور) و (أكرم) ، عبر طرقات وممرات المدينة ، فى الوقت

الذى ترددت فيه الانفجارات على الشاشة الكبيرة ، و(ليدر) يواصل سحق أهدافه واحدًا بعد الآخر ..

وفى حنق ، هتف (أكرم) :

ـ ذلك الوغد بلا قلب .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ إنه (دموى) ، يتصوّر أن شراسته هى الوسيلة الوحيدة لتأمين عالمه وحمايته .

مطّ (أكرم) شفتيه ، قائلًا :

ـ وربما كان على حق .

توقّف (نور) ليقول فى دهشة :

ـ على حق ؟

أجابه (أكرم) فى صرامة :

ـ بالطبع . لو أننى فى موضعه ، ورأيت الجيوش تحتشد على بوّابة عالمى ، لما ترددت لحظة واحدة فى سحقها سحقًا .

صمت (نور) لحظة ، ثم عاود انطلاقه ، قائلًا :

ـ سنناقش هذا فيما بعد .

تبعه (أكرم) ، وهو يغمغم :

ـ هكذا الحق .. مؤلم دائمًا .

لم يجادله (نور) هذه المرة ، وترك (ج ـ ٣) يقودهما إلى منبع طاقة التسليح ..

كان هذا المنبع عبارة عن كرة فى حجم حافلة صغيرة (ميكروباص) ، تحلق منفردة ، على ارتفاع مترين من الأرض ، وكأنها مضادة لجاذبية الأرض ، ويحيط بها بريق خافت ، فهتف (أكرم) :

ـ وما الذى يمكن أن نفعله مع شىء كهذا ؟

تراجع (نور) مترين كاملين ، وصوّب بندقية الصواعق إلى الكرة قائلاً :

ـ سنحاول كل ما يمكننا ، فبقاء هذه الكرة يعنى سحق جيشنا كله .

تراجع (أكرم) بدوره ، وصوّب بندقيته ، قائلاً فى حزم :

ـ ومن يسمح بهذا ؟

وفى آن واحد ، انطلقت صواعقهما تضرب الكرة ..

وتألقت كرة الطاقة أكثر وأكثر ..

وراح بريقها يتزايد على نحو مخيف ..

وصواعق (نور) و(أكرم) تواصل الانطلاق ..

كان كلاهما يعلم أن انفجار الكرة قد يُطلق طاقة هائلة ، تطيح بهما معًا ..

إلا أنهما لم يتوقفا ..

وهذا هو العامل المشترك بينهما ..

إنهما يختلفان فى عشرات الأشياء ، ولكنهما يتفقان فى هذا الأمر بالذات ..

فى البسالة ، والاستعداد للتضحية بنفسيهما فى سبيل النصر ..

ومن أجل (مصر) ..

لقد كان كل منهما يطلق صواعقه فى سخاء ، متجاهلاً ما يمكن أن يسفر عنه هذا ..

حتى انطلق ذلك الأزيز ..

لقد توهجت الكرة فى عنف ، وانطلق منها أزيز قوى ، فهتف (نور) :

ـ ابتعد يا (أكرم) .. ابتعد .

وانطلقا يعدوان معًا بكل قوتهما ، ومن خلفهما تعالى الأزيز ..

وتعالى ..

وتعالى ..

ثم دوى الانفجار ..

كانت الطاقة هائلة ، مخيفة ، انتزعتهما كريشتين فى مهب الريح ، وحملتهما عشرة أمتار إلى الأمام فى سرعة رهيبة ، ثم ضربتهما فى جدار مقابل فى عنف ، فسقطا وجسداهما يكادان يشتعلان بحرارة لافحة ..

ولم يحتمل أحدهما هذه الدفعة الرهيبة من الطاقة ..
وأظلمت الدنيا أمامهما ، و...
وانتهى كل شىء بغتة ..

* * *

كانت عينا (ليدر) تبرقان فى ظفر مخيف ، وهو يضغط أزرار الصواعق فى سادية ، ويراقب طائرات ومدرعات الجيش المصرى ، وهى تنسحق واحدة بعد الأخرى ..

وفجأة ، انفجرت كرة طاقة التسليح ..

ومع انفجارها ، احترقت أزرار الصواعق ، وانطفأت الشاشات دفعة واحدة ، وانطلقت من الأجهزة شرارات عنيفة ، ضربت الجدران ، وأصاب بعضها جسد (ليدر) ، الذى أطلق صرخة غاضبة ، وارتد فى قوة ، ليرتطم بالأجهزة ، ويسقط أرضًا ..

وتواصل انطلاق تلك الشرارات الكهربية فى عنف لوقت طويل ، بدا أشبه بدهر كامل ، قبل أن ينتهى الأمر ، ويهدأ كل شىء ..

ثم نهض (ليدر) ..

نهض وقد حوله الغضب إلى بركان ثائر ، وهتف :

ـ إنهما هذان الغريبان .. كنت على حق مرة أخرى .. كان من الضرورى أن نسحقهما فور وصولهما .

وأخرج كرة الصواعق من حزامه ، مستطردًا :

ـ ولكن الوقت لم يفت بعد .. مازال بإمكانى القضاء عليهما .

ثم اندفع عبر النفق ، مضيفًا فى صرامة :

ـ وهذا أقل ما ينبغى أن أفعله .. من أجل (لانتس) ..

وانطلق يبحث عن (نور) و (أكرم) ، ليقضى عليهما ..

من أجل (لانتس)..

* * *

انتفض (نور) فجأة ، وفتح عينيه عن آخرهما ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !

لم يدر لماذا انطلق منه هذا الهتاف ، فور استعادته لوعيه ، ولكنه حدق فى (أكرم) ، الملقى إلى جواره ، ثم ألقى نظرة على ساعته ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وأسرع يهز (أكرم) ، قائلاً فى انفعال :

ـ (أكرم) .. استيقظ يا صديقى .. لقد خسرنا وقتًا ثمينًا .. لم يعد أمامنا سوى بضع وثلاثين دقيقة فحسب ، قبل أن يعمل جهاز (سلوى) .

فتح (أكرم) عينيه فى بطء ، وهو يتمتم :

ـ جهاز من ؟!

ثم استعاد وعيه كاملا ، فاعتدل فى حركة حادة ، مستطردا :

ـ رباه !.. هل نجحنا فى نسف كرة الطاقة ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، وقال :

ـ الاحتراق الشديد فى ظهرينا يجيب بالإيجاب يا صديقى .. المهم أن نسرع الآن ، وإلا بقينا سجينين هنا إلى الأبد .

نهض (أكرم) ، والتقط بندقية الطاقة ، قائلا :

ـ وكيف سنعرف موقع البوابة ؟

أجابه (نور) :

ـ (ج ـ ٣) سيقودنا بالطبع .

قالها ، ووضع المنظار على عينيه ، ثم راح يتبع (ج ـ ٣) مرة أخرى ..

وكان الطريق طويلاً هذه المرة ..

لقد استغرق الأمر سبع عشرة دقيقة بالضبط ، عبر شبكة ممرات شديدة التعقيد ، حتى وصلا إلى موقع البوابة ..

ولثوان ، ران عليهما صمت مهيب ، وهما يتطلعان إلى قوس الطاقة ، فى نهاية الممر ، ثم ألقى (نور) نظرة على ساعته ، قائلا :

ـ بقيت أمامنا ثلاث عشرة دقيقة .

تنهد (أكرم) ، قائلا :

ـ حمدا لله ..

ناوله (نور) بندقية الطاقة ، قائلا :

ـ انتظرنى هنا .. أمامى عمل بالغ الأهمية .

سأله (أكرم) ، وهو يراقبه يتجه نحو لوحة الأزرار :

ـ ماذا ستفعل بالضبط ؟

أجابه (نور) فى اهتمام :

ـ أحاول إقامة حاجز دائم ، بيننا وبين (لانتس) يا صديقى .

راقبه (أكرم) ، وهو يعمل بهمة شديدة ، ويوصل أجزاء جهاز خاص بلوحة الأزرار ، ثم سأله :

ـ وكيف يمكنك أن تفعل هذا ؟

أتاه الجوب من خلفه بصوت صارم ، يقول :

ـ بنسف لوحة الأزرار .

استدار (نور) و (أكرم) فى سرعة ، يواجهان (ليدر) ، الذى يقف عند نهاية الممر ، ويصوب إليهما كرته الأرجوانية مستطردا :

ـ كنت أعلم أن الفكرة ستخطر ببالكما ، عندما علمتما أن طاقة البوابة تكمن فى لوحة الأزرار ، وأن نسف اللوحة سيطلق الطاقة كلها ، وبدونها لن تعمل البوابة

أبدا ، وهذا يعنى أن تنعـزل (لانتس) داخـل تلك الفجوة بين الأبعاد ، ولايعود بإمكانها التعامل مع اى بُعد منها أو تهديده .

قال (نور) فى حزم :

ـ نسيت أن تقول : إن هذا يحمى (لانتس) أيضـا ، من كل ما يهددها ومن يهددها يا (ليدر) .

هتف به (ليدر) فى غضب :

ـ لا تتحدّث باسم (لانتس) .. ليس هذا من حقك .

ثم برقت عيناه فى ثورة ، مع استطرادته :

ـ لا أحد سيمكنه إيذاء (لانتس) .. عالمنا أقوى من أن يهزم عالمكم الحقير ، مهما حشد من جيوش .

صاح به (أكرم) :

ـ أنت مغرور يا (ليدر) .. مغرور ومختل عقليًا ، وأمثالك لا يصلحون للحكم قط .

اشتعلت عينا (ليدر) غضبًا ، وهو يقول :

ـ وأمثالك لا يستحقون الحياة .

ثم صوّب كرته الأرجوانية ، وضغط جانبيها ، و ... وانطلقت الصاعقة ..

ولكن (أكرم) صوّب بندقية الصواعق فى اللحظة نفسها ..

وأطلق صاعقته ..

وفى منتصف المسافة بين الرجلين التقت الصاعقتان .

ودوى الانفجار ..

انفجار عجيب مكتوم ، نشأ من امتصاص كل من الصاعقتين لطاقة الأخرى ، مع فرقعة عجيبة ، وموجة تضاغط قاسية ، ضربت (نور) و (أكرم) و (ليدر) ، وألقتهم جميعًا أرضًا ، وفرّقت أسلحتهم فى عنف ..

ثم هبّ الثلاثة واقفين فى آن واحد ..

وفى لحظة واحدة ، اندفع (نور) نحو لوحة الأزرار ، ليكمل عمله ، فى حين انقضّ (أكرم) و (ليدر) على بعضهما ، وكلاهمـا يطلـق صرخـة ثـائرة ، كوعلين يتناطحان فى قلب دغل فسيح ..

وفى ثورة ، كال (أكرم) لـ (ليـدر) لكمة عنيفة ، صائحًا :

ـ فشلت هذه المرة أيها الأحمق .

ضربت اللكمـة فك (ليدر) فى قوة ، إلا أنهـا لـم تزحزحـه مـن مكانـه ، وخُيّل لـ (أكـرم) أن قبضتـه أصابت جدارًا من الصخر ، فى حين أطلق (ليدر) ضحكة ساخرة ، وبرقت عيناه ، وهو يقول :

ـ من الذى فشل أيها الغريب ؟

حدّق فيـه (أكـرم) فى دهشـة ، ثم هوى على فكـه بلكمة أخرى ، استقبلها (ليدر) فى راحتـه ، قـائلا فى صرامة :

ـ ألم تعرف جواب السؤال بعد ؟

ثم لكم (أكرم) لكمة قوية فى معدته ، جعلته يطلق شهقة ألم عنيفة ، ويشعر وكأن سيارة صغيرة قد اصطدمت به ، قبل أن يرفعه (ليدر) عاليًا ، ويصرخ :

ـ لست أهلا لى .

ثم ألقاه نحو (نور) فى عنف ، فارتطم به فى قوة ، وسقط الاثنان أرضًا معًا ..

وفى وحشية ، انقضّ عليهما (ليدر) ، وجذب (نور) من ثيابه ، ليجبره على الوقوف على قدميه ، وهو يقول :

ـ أنتما السبب فيما أصاب (لانتس) .

وضرب به جدار الممر فى قوة ، قبل أن يلقيه فوق الأرضية المصقولة ، ويتركه ينزلق فوقها لثلاثة أمتار ..

وفى برود مخيف ، اتجه (ليدر) نحو كرته الأرجوانية ، وانحنى يلتقطها ، وهو يكمل فى غضب رهيب :

ـ وأقل ما تستحقانه هو القتل .

وصوّب إليهما الكرة ، مضيفا وعيناه الغائرتان تبرقان فى شدة :

ـ القتل بلا رحمة .

وكانت لحظة رهيبة ..

لحظة الموت ..

* * *

« خطأ .. خطأ .. خطأ .. » .

هتف الدكتور (ناظم) بالكلمة ثلاث مرات ، فى وجه وزير الدفاع ، الذى انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول محتدًا :

ـ وما شأنك أنت بالأعمال العسكرية ؟.. ما أدراك كيف تدار الأمور ، فى مثل هذه المواقف ؟!. أنت مجرد مدنى .. هل تفهم .. مدنى عادى ، لا يفقه شيئًا فى فن الحروب .

قال الدكتور (ناظم) فى حدة :

ـ قد أكون مدنيًا يا سيادة وزير الدفاع ، ولكننى لست مدنيًا عاديًا .. أنا رئيس مركز الأبحاث ، التابع لإدارة المخابرات العلمية ، ولو أنك تفهم ما يعنيه المنصب ، لأدركت أنه من الطبيعى أن أعرف الكثير عن الأمور العسكرية ، بحكم إشرافى على الأسلحة التكنولوجية الحديثة على الأقل .

قال وزير الدفاع فى صرامة :

ـ الشئون العسكرية لا تقتصر على الأسلحة يا رجل ..
إنها تتجاوز هذا إلى فن التخطيط ، والتكتيك ، والاستراتيجيات العسكرية .. إنها عالم منفرد بذاته .

قال الدكتور (ناظم) غاضبًا :

ـ عظيم .. وما الذى فعله هذا العالم المنفرد بذاته ، عندما رفض الاستماع إلى تقارير المخابرات العلمية ومراجعة أسلوبها فى العمل ؟.. لقد تسبّب فى تدمير تسع طائرات ، وست عشرة مدرعة ، وثلاث حوّامات مقاتلة .

قال وزير الدفاع فى عصبيّة :

ـ لكل الحروب خسائرها .

تدخّل القائد الأعلى ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، ولكن إلى متى تستمر الخسائر .

احتقن وجه وزير الدفاع ، وصمت لحظات ، قبل أن يشيح بوجهه ، قائلاً :

ـ لقد أصدرت أوامرى بالانسحاب .

هبطت عبارته عليهما مباغتة ، وهبط معها صمت ثقيل على الحجرة ، استمرّ لنصف دقيقة كاملة ، قبل أن يقطعه القائد الأعلى ، متمتمًا :

ـ متى ؟

ازدرد وزير الدفاع لعابه ، الذى بدا له جافًا غليظًا ،

مع تلك المرارة فى حلقه ، وهو يجيب :

ـ قبل قدومى إلى هنا مباشرة .

غمغم الدكتور (ناظم) :

ـ يا للخسارة ! ..

التفت إليه الوزير فى دهشة ، وهو يقول :

ـ الخسارة لأننا أعلنا الانسحاب ؟.. ألم تقل بنفسك : إن ..

قاطعه الدكتور (ناظم) فى سرعة :

ـ لم أكن أقصد هذا ..

ثم تنهّد مستطردًا :

ـ كنت أقصد أننا بدأنا عملاً عسكريًا ، قبل أن تتضح الأمور ، ولقد تسبّب هذا فى خسارة فادحة ، فى الرجال والمعدات ، ولكن الأسوأ أنه قد يكون السبب فى خسارة أكبر .

وارتجفت شفتاه ، وهو يضيف فى حسرة :

ـ خسارة (نور) و (أكرم) .

قالها ، وعاد ذلك الصمت الثقيل يخيّم على الحجرة ، وإن شابه هذه المرة الكثير من الأسف ..

ومن الندم ..

* * *

لم تكن هناك أكثر من شعرة ، تفصل ما بين (نور) و (أكرم) ، وصاعقة (ليدر) ..

لقد صوّب إليهما قائد (لانتس) كرته الأرجوانية القاتلة ، والموت يطلّ من عينيه الغائرتين المخيفيتن ، و..

وفجأة ، صدرت تلك الفرقعة المكتومة ..

ثم دوت فرقعة كبيرة ..

كانت فرقعة عنيفة ، كادت تمزّق آذان (نور) و (أكرم) ، اللذين ما إن سمعا الفرقعة المكتومة قبلها ، حتى كتما آذانهما بأيديهما ..

أما (ليدر) ، فقد ألقته الفرقعة أرضًا ، وهو يطلق صرخة ألم عنيفة ..

إلا أنه لم يفقد سيطرته على نفسه ..

لقد استعاد توازنه فى سرعة ، وهبّ واقفًا على قدميه ، وهو يصرخ :

ـ لن تفلتا .

ثم استعاد كرته الأرجوانية فى سرعة ، وصوّبها إليهما ، و...

وانفتحت البوّابة ..

انفتحت دفعة واحدة ، وبدت من خلفها الصحراء الممتدّة إلى مالا نهاية ..

وتدفّقت عبرها أشعة الشمس الدافئة ..

وصرخ (ليدر) ..

صرخ فى ألم وارتياع ، عندما غمرته أشعة الشمس ، وتراجع فى هلع مذعور ، كما لو أن الأشعة الدافئة تحرق خلاياه ، التى تحيا فى ضوء صناعى دائم ..

ومع تراجعه ، ارتفعت صرخته :

ـ لا .. لا يمكننى السماح لكما بالهروب .. لا ..

وأخفى وجهه بذراعه اليسرى ، وهو يضغط جانبى الكرة ..

وانطلقت الصاعقة ..

انطلقت تعبر البوّابة المفتوحة ، على قيد ربع المتر من (نور) و (أكرم) ، اللذين دفعتهما الطاقة فى عنف ، فارتطما بالجدار ولوحة الأزرار ، وسقطا أرضًا ..

وضغط (ليدر) جانبى الكرة مرة ثانية ، وهو يخفى عينيه بيسراه ..

وانطلقت صاعقة جديدة ، عبرت فوق رأسيهما هذه المرة ، فخيّل إليهما أنها حملت معها كل الهواء ، الذى خلا منه صدراهما ، فشهقا فى استماتة ..

وعلى الرغم من آلامهما والدوار الذى يحيط بهما فى عنف أمال (نور) ساعته ، وترك أشعة الشمس تنعكس



لقد دفعتهما طاقة الانفجار لخمسة أمتار كاملة ، وألقتهما فوق الرمال فى عنف ..

فوق سطحها اللامع ، وترتطم بوجه (ليدر) ، الذى أطلق صرخة ألم رهيبة ، وتراجع مذعورا ..

وبكل ما تبقى فى جسده من قوة ، جذب (نور) جسد (أكرم) ، هاتفا :

ـ هيا .. هيا يا صديقى .. دعنا نغادر هذا المكان .. هيا .

دفع (أكرم) قدميه فى الأرض فى صعوبة ، وراح (نور) يجره جرًا نحو البوّابة ، و(ليدر) يصرخ :

ـ لن تفلتا منى .. لن تفلتا منى أبدًا .

ولكن (أكرم) استجمع ما تبقى من قواه ، ودفع نفسه دفعة قوية إلى الأمام عاونه فيها (نور) ..

وتجاوزا البوّابة ..

وفى نفس اللحظة التى تجاوزاها فيها ، أطلق (ليدر) صاعقة جديدة ..

وفى هذه المرة ، انفجرت الصاعقة على بعد مترين فحسب منهما ..

وكان انفجارها رهيبًا ..

لقد دفعتهما طاقة الانفجار لخمسة أمتار كاملة ، وألقتهما فوق الرمال فى عنف ، وجعلتهما يزحفان فوقها لمترين آخرين ..

وشعر (نور) بآلام مبرحة فى جسده ، وهو ينزلق فوق الرمال ، وتأوّه فى خفوت ، وهو يلتفت إلى (أكرم) ، قبل أن تنطلق من بين شفتيه آهة ارتياع ..

كان (أكرم) ممتقع الوجه فى شدّة ، زائغ العينين ، ومن جبهته يسيل خيط من الدم ..

وفى هلع ، هتف (نور) :

- (أكرم) .. ماذا أصابك ؟

حاول (أكرم) أن يبتسم ، وهو يتمتم :

- أنا بخير .. اطمئن .

ولكن اللهجة التى نطق بها عبارته ، والشحوب الشديد الذى أصابه بعدها ، وعجزه عن النهوض ، كلها جعلت (نور) يقول :

- استرح يا صديقى .. استرح بالله عليك .

ولكن نظرة منه إلى البوّابة ، جعلت قلبه يثب فى حلقه من جديد ، فقد كان (ليدر) هناك ،فى منطقة ظل بعيدة ، يصوّب إليهما كرته الأراجونية مرة أخرى ..

وعلى الرغم من المسافة البعيدة ، سمعه (نور) يقول بالعربية :

- لقد أقسمت ألا تفلتا .

ورآه يضغط جانبى الكرة ، و ..

وكانت الفرقعة رهيبة هذه المرة ..

ولكنها بدأت قبل أن تكتمل ضغطة (ليدر) على جانبى كرته الأرجوانية ..

لقد دوّت مع تألّق البوّابة الشديد .

ومع انفجار لوحة الأزرار ..

وأمام عينى (نور) الذاهلتين ، انطلق فيض من الطاقة إلى السماء ..

لسان هائل من أضواء مختلفة الألوان ، اقترن بهزيم ألف رعد ، وارتفع حتى بلغ عنان السماء ، حتى بدا أشبه بلسان رهيب من اللهب ، اندلع من قلب الجحيم نفسه ، واقترن بصرخة عنيفة ، يمتزج فيها الغضب بالثورة والسخط والغيظ والجنون ..

صرخة حملت صوت (ليدر) ..

وارتفعت سحابة هائلة من رمال الصحراء ، إلى مسافة كليو متر كامل ، ثم انهارت مع تلاشى لسان الطاقة الرهيب ..

وشعر (نور) بكميات هائلة من الرمال تتناثر فوقه وحوله ، فضرب بيديه يمنة ويسرة فى استماتة ، وقاوم بكل ما يملك من قوة ، حتى لا تغمره الرمال ، كما حدث قبلاً ..

ولكن هيهات ..

مع تلك الأطنان من الرمال ، كان من المستحيل أن ينتصر (نور) ..

لقد أغرقته الرمال مع (أكرم) ، ودفنتهما تحتها فى قسوة ، وهى تستقر مرة أخرى فى الصحراء ..

ثم ساد هدوء رهيب فى المكان ..

هدوء يعنى أن بوّابة الأرض المفقودة قد أُغلقَتْ لمرة جديدة ..

وأخيرة .

* * *



١٣ ـ الختام ..

تعالى وقع أقدام نسائية ، تعدو عبر ممرات المستشفى المركزى ، ثم لم تلبث (سلوى) و (مشيرة) أن ظهرتا فى بداية الممر ، الذى يقود إلى حجرات العناية الخاصة ، واندفعتا فى هلع نحو الدكتور (ناظم) ، الذى استقبلهما فى اهتمام ، فهتفت به (مشيرة) بلهجة أقرب إلى الانهيار :

ـ أين هما ؟.. كيف حالُ (أكرم) ؟

وقالت (سلوى) فى توتر بالغ :

ـ و(نور) .. ماذا أصاب (نور) ؟

أشار إليهما الدكتور (ناظم) بالهدوء ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. لقد نجيا بمعجزة .. لقد دفنتهما الرمال تمامًا ، ولكن من حسن الحظ أن بعض رجال القوات الخاصة كانوا يراقبون الموقف من بعيد ، ورأوا ما حدث ، فأسرعوا إلى المكان ، وانتشلوهما من تحت الرمال ، ونقلوهما بحوّامة خاصة إلى هنا .

سألته (مشيرة) :

ـ وكيف حالهما .

صمت لحظة ، قبل أن يقول :
ـ (نور) بخير والحمد لله .. لقد استعاد وعيه ، ولكنه لم يسترد عافيته بعد .
زفرت (سلوى) فى ارتياح ، قائلة :
ـ حمدًا لله .
أما (مشيرة) ، فشحب وجهها ، وهى تقول :
ـ وماذا عن (أكرم) ؟
رمقها الدكتور (ناظم) بنظرة صامتة ، فتراجعت مغمغمة :
ـ قلت : إنهما نجيا بمعجزة .. أليس كذلك ؟
أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ إنهما لم يلقيا حتفهما ، ولكن يبدو أن (أكرم) قد بذل جهدًا هائلاً هذه المرة ، فجسده منهار بشدة ، والأطباء يقولون : إنه سيقضى وقتًا أطول ، حتى يسترد وعيه .
ازداد شحوب وجهها ، وهى تقول :
ـ أتعنى أنه سيسقط فى غيبوبة طويلة ؟
مطّ شفتيه ، وقال :
ـ لم نجر الفحوص اللازمة بعد ، للإجابة عن هذا السؤال .

ارتجفت شفتا (مشيرة) ، وهى تقول :
ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنها آخر عملياته فى المخابرات .
تنهّد الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :
ـ لا تتسرّعى بالقول يا (مشيرة) ، فالأمور لم تتضح بعد ، ولا أحد يمكنه الجزم بما ستأتى به الأيام القادمة ..
ولم يدر الدكتور (ناظم) لحظتها كم كانت عبارته صادقة ..
إن الأمور لم تتضح بعد ..
ولا أحد يمكنه الجزم بما ستأتى به الأيام القادمة ..
ومن يدرى ؟!..
ربما كان المستقبلُ يحمل الكثير .
الكثير جدًّا .

* * *

[تمت بحمد الله]